الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي البحث العلم

جامعة محمد خيضر بسكرة قطب_ شتمة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة الأنثروبولوجيا

محاضرات ميادين الأنثروبولوجيا
السنة الثانية ليسانس

الأستاذة:نتيجة جيماوي

2024/2023

تمهيد

تعتبر الأنثروبولوجيا علم حديث يقرب عمره من قرن وربع القرن تقريبا، ولأنها تعنى بدراسة النظريات التي تتعلق بطبيعة المجتمعات البشرية، فاننا نستطيع أن نعتبرها من جهة أخرى من أقدم العلوم إذ تأملات الإنسان بدات مع القدم حول العديد من الموضوعات مع مطلع القرن العشرين بدأت تتضح ملامح الدراسات الأنثروبولوجية الفيزيقية والثقافية على حد سواء فقد أصبحت الأنثروبولوجيا تخصص أكاديمي معترف به. الأنثروبولوجيا كعلم قائم بذاته خاص بدراسة التاريخ الطبيعي لمجموعة أوجه النشاط البشري مر بعدد من المراحل فمنذ عهد الاستكشافات الكبرى في القرن 15 تراكمت كميات من المعلومات الأنثروبولوجية بالاضافة إلى ما قدمته الجيولوجيا من مادة علمية لهذا العلم ومرحلة ألمام علماء الأنثروبولوجا بدراسة الشعوب البدائية كما تشكل الأنثروبولوجيا مع العلوم الأخرى ولا سيما العلوم الإنسانية منظومة من المعارف والموضوعات التي تدور حول الإنسان ويأتي هذا التشابك التكامل بين هذه العلوم بالنظر إلى تلك الأطر المعرفية والمناهج التحليلية التي تنظم العلاقة المتبادلة والمتكاملة بين المجالات المعرفية المختلفة.

الأنتروبولوجيا تتناول بالبحت اصل الانسان ميثولوجيا الشعوب فالإنسان كان ولا يزال موضع التامل والدراسة من قبل الكثير من العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء فقد عاشت البشرية عشرات القرون وهي تعتمد المعارف الخاصة بأصل الحياة على قصص تقليدية لكل امة صيغتها الخاصة لها وهذه القصص قد عاقت التفكير العلمي بشان البحث عن أصل الحياة وتتخذ اساطير الخلق والتكوين مكان المركز في اي منظومة ميثولوجية، فهي التي تتحدث من أصل الكون وكيف ظهر العالم إلى الوجود، وعن أصل الآلهة وأنسابها ومراتبها وعلائقها مع بعضها بعضا، إن وجود الإنسان في دنياه الغريبة جعله يتساءل عن سر بدئ الحياة على هذه الأرض، وفي هذا الصدد ظهرت الكثير من النظريات المتنوعة والمختلفة عن نشأة الحياة على الأرض كما يمثل الفولكلور الشعبي مدخلاً لدراسة حضارة الإنسان لأنه يشمل الجوانب القيمية والأخلاقية والجمالية والإبداعية التي يطرحها الإنسان عبر تاريخه الطويل.

تاريخ الأنثروبولوجيا التطبيقات الانثروبولوجية قبل نشأتها

تعدّ الأنثروبولوجيا من أحدث العلوم الاجتماعية على الإطلاق وما زالت تتطور وتتقدم لتأخذ مكانتها الفريدة والمتميزة بين العلوم الأخرى رغم حداثتها منهجا فإن وصف ثقافات الشعوب والحضارات الإنسانية قد جذبت الكثير من المفكرين والرحالة وذلك لتقديم تفسيرات من الاختلافات العقلية والعقدية والجسمية بين الشعوب كما لعبت الحروب والرحلة التجارية منذ عصور ما قبل الميلاد دورا هاما في حدوث اتصال بين الشعوب واكتساب معرفة الإنسان بالآخر خاصة فيما يتعلق باللغة والتقاليد والعادات ويعتبر مؤرخو الأنثروبولوجيا تلك المعرفة بمثابة جذور أولية للدراسات الإثنوغرافية باعتبارها قاعدة للمقارنة بينها وتعتبرهي الجذور الفكرية للأنثروبولوجيا.

<u>الحضارا ت المائية</u>:

سميت بالحضارات المائية لأنها أنشئت على ضفاف البحار والأنهار وهي الحضارة البابلية والحضارة المصرية

أولا: الحضارة البابلية امتدت لأكثر من 3000 سنة قبل الميلاد، وهي: بابل آشور سومر بابل كلدان وما يميز تلك الحضارة تنظيم الناس ومعاملاتهم في إطار قانون حمورابي؛ وضع قانونا فيه 384 مادة، وأمر بوضعها في أعمدة في الأسواق وانتشر هذا القانون، وبقيت أهمها حتى في القانون الحالي مثلا: المتهم برئ حتى تثبت إدانته.وكذلك انتشار الحروب ولدت اتصالا ثقافيا: مثل السبي البابلي حرب قام بها نبوخذنصر .

ثانيا: الحضارة المصرية الرحلة التي قام بها المصريون في 1493 قبل الميلاد إلى بلاد بونت الصومال حاليا بهدف التبادل التجاري تعد من أقدم الرحلات التاريخية في التعارف بين الشعوب هذه الرحلة مؤلفة من خمسة مراكب في كل منها 31 راكبا بهدف تسويق البضائع البخور والعطور وتأكيدا لإقامة علاقات معهم فيما بعد فقد صورت النقوش في معبد الدير البحري استقبال ملك وملكة بلاد بونت لمبعوث مصري.

ثالثا: اليونان والرومان:

عند اليونان: يطلق عليهم أيضا بلاد الإغريق أطلقها عليهم الآشوريين: غريقل الإنسان الذي يسكن وسط المياه أسطورة أثينا وبوسيدون المؤرخ الإغريقي هيرودوت484 -425 الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد كان رحالا صوّر ووصف عادات الشعوب وطرح فكرة الاختلاف والتنوع والفوارق بينها في كتابه التواريخ يلقب هيرودوت بأب التاريخ كسّر التقليد الهومري للشعر الملحمي للتاريخ الإلياذة والأوديسة: تخليد حرب طروادة في 1250ق م يعتبر هيرودوت أول من قام بجمع معلومات وصفية دقيقة عن عدد كبير من الشعوب غير اليونانية حيث تناول بالتفصيل تقاليدهم وعاداتهم وملامحهم الجسمية وأصولهم السلالية قدم وصفا لمصر وأحوالها وشعبها وهو قائل العبارة: "مصر هبة النيل" ومما يقوله عن عادات المصريين القدماء: "إنه في غير المصريين يَطلق كهنة الآلهة شعورهم أما في مصر فيحلقونها، ويقضي العرف عند سائر الشعوب بأن يحلق أقارب المصاب رؤوسهم في أثناء الحداد، ولكن المصريين إذا نزلت بساحتهم محنة الموت فإنهم يطلقون شعر الرأس واللحية" ومن المقارنة بين العادات الإغريقية والليبية يقول:"يبدو أن ثوب أثينا ودرعها وتماثيلها نقلها الإغريق عن النساء الليبيات غير أن لباس الليبيات جلدي وأن حذبات دروعهن المصنوعة من جلد الماعز ليست ثعابين بل هي مصنوعة من سيور جلد الحيوان، وأما ما عدا ذلك فإن الثوب والدرع في الحالتين سواء ومن الليبين تعلم الإغريق كيف يقودون العربات ذات الخيولالأربعة" يعتقد الكثير من الأنثروبولوجيين أن منهج هيرودوت في وصف ثقافات الشعوب وحياتهم وبعض نظمهم الاجتماعية ينطوي على بعض أساسيات المنهج الإثنوغرافي مثل الوصف كذلك سقراط وأفلاطون وأرسطو: قدموا أفكارا حول الإنسان والطبقات الاجتماعية في المجتمع اليوناني وأيضا حول المعرفة الإنسانية.

-عند الرومان: ما يميز الإمبراطورية الرومانية أنها تميزت بالتوسع ولهذا اعتبر الرومان أنفسهم أكثر الشعوب تحضرا، ركزوا على فكرة التوسع وبالتالي خلفوا آثارا مادية في أي مكان يستعمرونه ولنأخذ مثالا في الجزائر: مدينة تيمقاد أو حمام بوحنيفية في معسكر الذي يسمى بماء الحوريات في العهد الروماني كذلك نجد أشعار كاروس لوكرتيوس99-15 ق.م الذي تحدث عن تطور الإنسان وأثر المادة فيه: العصور الحجرية- العصور البرونزية- العصور الحديدية تتقارب أفكاره في التطور مع أفكار لويس مورغان الذي تحدث عن التطور ضمن طفرات مادية .

نجد أهم فيلسوف القديس أوغسطين 354-430م الذي تمثل بوصفه الباحث عن السعادة بدءا من اللذة إلى العقل وانتهاء إلى الدين–نتعقل لكي نؤمن نجد كذلك النزعة المركزية عندالرومان بحيث كانوا لا يمنحون التابعيةالجنسية الرومانية إلا من أرادوا رفعه من قدره أو شأنه .

رابعا: الحضارة العربية الإسلامية : تمتد العصور الوسطى عند العرب من منتصف القرن 7 ميلادي إلى نهاية القرن 14 تقريبا حيث بدأ الإسلام في الانتشار وبدأت معه بوادر الحضارة العربية الإسلامية آنذاك بالازدهار وقد تضمنت هذه الحضارة الآداب والأخلاق والفلسفة والمنطق كما كانت ذات تأثيرات خاصة في الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية ولابد الإشارة إلى الأوضاع الثقافية والاجتماعية للعرب في الجاهلية وبعد ظهور الإسلام وقد اقتضت الأوضاع الجديدة التي أحدثتها الفتوحات العربية الإسلامية الاهتمام بدراسة

أحوال الناس في البلاد المفتوحة وسبل إدارتها حيث أصبح ذلك من ضروارت التنظيم والحكم فالعرب ألفوا معاجم جغرافية كمعجم البلدان لياقوت الحموي وكذلك الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن 08ه /14م مثل مسالك الأمصار لابن فضل الله العمري ونهاية الأرب في فنون العرب للنويري وهناك من تخصص في إقليم واحد مثل البيروني 362ه/440م وضع كتابا عن الهند بعنوان: تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة حيث وصف فيه المجتمع الهندي القائم على نظام الطوائف بما فيه من نظم دينية واجتماعية وأنماط ثقافية واهتم أيضا بمقارنة تلك النظم والسلوكيات الثقافية بمثيلاتها عند اليونان والعرب والفرس كما أبرز في هذا الكتاب حقيقة الدين بأنه يؤدي دور رئيسي في تكبيل وضبط الحياة الهندية وتوجيه سلوك الأفراد والجماعات وصياغة القيم والمعتقدات .

كما كان لابن بطوطة وكتاباته خصائص ذات طابع أنثروبولوجي برزت في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم اليومية فما كتبه في استحسان أفعال أهل السودان حيث يقول ابن بطوطة: "فمن أفعالهم قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه، ومنها شمول الأحق في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق أو غاصب".

أما عبد الرحمن بن خلدون 1332م-1406م الذي يمثل شعلة العقل في التراث الإسلامي من خلال كتابه: "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" واشتهر في كتابه: "المقدمة" المعنونة ب: "في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعاش والمصانع والعلوم وما لذلك من العلل والأسباب " أشار ابن خلدون إلى العلاقة بين البيئة الجغرافية والظواهر الاجتماعية فقد ردّ اختلاف البشر في ألوانهم وأمزجتهم النفسية وصفاتهم الجسمية والخلقية إلى البيئة الجغرافية التي اعتبرها أيضا عاملا هاما في تحديد المستوى الحضاري للمجتمعات الإنسانية وبالأخص البداوة والحضارة في نشأة الدول واندثارها واعتبر أن التطور هو سنة الحياة الاجتماعية حيث يقول: "إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال.

خامسا. <u>العصور الوسطى</u>:

تمتد العصور عند الغرب قرابة عشر قرون من القرن الرابع ميلادي إلى القرن الخامس عشر ميلادي تمتاز بسيطرة الكنيسة بدأت السيطرة بتأسيس البابوية التي ظهرت بعد إدخال الإمبراطور قسطنطين وجعل الديانة المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية وظهورمحاكم التفتيش إن ذكر الصليبين مع بداية الحروب الصليبية عام 1096م على المشرق العربي حيث أتت أعداد كبيرة من الأوروبيين كحجاج لبيت المقدس أو مبشرين للديانة المسيحية ومع أن أهدافهم كانت روحية أو سياحية أو استكشافية في المقام الأول إلا أن ما دونوه من ملاحظات يعتبر ذا قيمة وصفية كبيرة من هنا بدأت حركة الاستشراق الاتصال الثقافي المبدئي بين الغرب والشرق: الاهتمام بالشرق ومعرفة أحواله بلغ هذا الاتصال ذروته خصوصا مع حروب المغول 1162م-1227م وتقهقرت جيوش المغول حوالي 1334م وقد سجّل ماثيو باريس MATHEW Paris بعض التفصيلات الشيقة عن المغول أثناء المواجهة بينهم ، كما يبدو واضحا في الفقرة التالية:"ليس لديهم يقصد المغول قوانين أساسية لا يعرفون الراحة وهم أكثر وحشية من الدببة أو الأسود، لديهم قوارب مصنوعة من جلود الثيران والتي يتسع كل منها لعشرة أشخاص أو اثنا عشر شخصا، يتقنون السباحة والتجديف ولهم قدرة كبيرة جدا على اجتياز الأنهار والقنوات التي تتدفق فيها المياه بسرعة هائلة وبخطورة كبيرة، أنهم يشربون الدم، وإن لم يجدوه استعاضوا عنه بشرب الماء المعكر بالطين، لديهم سيوف ذوات حد واحد وخناجر، وجميعهم سواء

كانوا رجالا أم نساءً صغارا أم كبارا يتقنون الرمي بالقوس، لا يتحدثون غير لغتهم التي لم تكن معروفة لدى الغربيين، الأمر الذي جعل التواصل بينهم والتعرف على تقاليدهم صعبا، يتجول المغول في الأراضي الشاسعة مع قطعانهم وزوجاتهم اللائي يتقنّ فن الحرب كالرجال تماما، وهذا ما يفسّر انقضاضهم بمهارة وحنكة على حدود مملكة المسيحية وكأنهم صاعقة نزلت لتخلق الموت والدمار بالجميع الذي أصابهم الذعر والهلع".

كذلك نجد رحلات نيكولاي بولو Nikoulay POLO وأخيه ماثيو بولوMathew POLO(وابن أولهما مارك بولو)Mark POLOما بين 1254م -1324م، والتي قامت -رغم طابعها الاستكشافي والتجاري- بدور سياسي كبيرة كهمزة وصل بين الشرق والغرب يذكر لنا ويندل أوسوالتWendell Oswalt في كتابه: "شعوب أخرى: تقاليد أخرى" أنه ربما لا يوجد بعد كتابات هيرودوت من أعمال تستحق الذكر من حيث قيمة ما تقدمه من معلومات إثنوغرافية مدققة عن الشعوب غير الأوروبية إلا مدونات الفرنسيسكان أسس فرانسيس داسيزي Francis 1182 Dasuzy-1226 جماعة رهبان الفرنسيسكان، والذي ولد بإيطاليا وبدأ حياته وتحول إلى الوعظ الديني واشتهر بشدة تقواه وعطفه على الفقراء والتف حوله كثير من الرهبان والمريدين برز شأنه أيام الحملات الصليبية الذين كانوا من الأوائل الذين حصلوا على معلومات حقيقية ودقيقة عن البلاد والشعوب التي أرادوا تنصير أهلها وتصدر أعمال الفرنسيسكان مدونات الإيطالي جون دي بلانو كاربيني J.Carpini الذي حمل تكليفا بابويا بالتوجه إلى بلاد التتار ليصف تقاليدهم وعاداتهم، بقصد إنجاح عمليات التنصير فيما بعد وقد نجد في هذا التكليف الذي تكرر واتسع فيما بعد ليشمل أشخاصا آخرين أهمية تاريخية في مجال استخدام المعرفة بأسلوب حياة شعب معين والوقوف على تقاليدهم وعاداتهم بقصد تحقيق تغيير مقصود في العقيدة والنظم الاجتماعية إن هذا التوظيف للمعرفة هو أول ربط بين الاثنوغرافيا والأغراض أو الأهداف العملية، مما يشكل تخصصا من تخصصات الأنثروبولوجيا يعرف بالأنثروبولوجيا التطبيقية.

سادسا <u>أوروبا في عصر النهضة والأنوار</u>:

بدأ عصر النهضة في أوروبا في نهاية القرن 14م حيث شرع الأوروبيون بعملية دراسة انتقائية للعلوم والمعارف الإغريقية والعربية حيث حدثت تغيرات أدّت إلى ترسيخ عصر النهضة أو ما يسمى بعصر التنوير الذي ساهم في بلورة الأنثروبولوجيا كعلم ابتداءا من اكتشاف الآخر ومعرفة ثقافات الشعوب الأخرى لعل أهم رحلة استكشافية مشهورة أثرت في علم الأنثروبولوجيا رحلة كريستوف كولومبس1451 م -1506م إلى القارة الأمريكية ما بين 1492م-1502م، حيث زخرت رحلته بالكثير من المعلومات من أساليب حياة الشعوب وعاداتها ووصف بشكل موضوعي ما شاهده مباشرة وكان الهدف من هذه الرحلة هو تحقيق الشهرة ومحاولة العثور على طريق أخرى غير التي تعبر بلاد مسلمين.

ما قاله كولومبس في وصف سكان جزر الكاريبيان في المحيط الأطلسي ما يلي:"إن أهل تلك الجزر كلهم عراة تماما الرجال منهم والنساء، كما ولدتهم أمهاتهم ومع ذلك فثمة بعض النساء اللواتي يغطين عورتهن بورق الشجر أو قطعة من نسيج الألياف تصنع لهذا الغرض، ليست لديهم أسلحة ومواد من الحديد أو الصلب وهم لا يصلحون لاستخدامها على أية حال، ولا يرجع السبب في ذلك إلى ضعف أجسادهم، وإنما إلى كونهم خجلون ومسالمون بشكل يثير الإعجاب". وكتب في وصفه لسكان أمريكا الأصليين: "إنهم يتمتعون بحسن الخَلق والخُلق وقوة البنية الجسدية،كما أنهم يشعرون بحرية التصرف فيما يمتلكون إلى حد أنهم لا يترددون في إعطاء من يقصدهم أيا عن ممتلكاتهم علاوة على أنهم يتقاسمون ما عندهم برضا وسرور" وقد كان لهذه الرحلة أثر على الأوروبيين من خلال تغير نظرتهم للإنسان، وظهر المذهب الإنساني أو النزعة الإنسانيةHumanisme المقتضي دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر، وذلك وفق المراحل التاريخية التطورية للإنسان فأصبحت النظرة

الجديدة للإنسان على أنه ظاهرة طبيعية ويمكن دراسته من خلال البحث العلمي والمنهج التجريبي، ومعرفة القوانين التي تحكم مسيرة التطور الإنساني والتقدم الاجتماعي بالإضافة إلى ذلك نجد محاولة الرحالة الإسباني جوزيف أكوست J.Acostal في القرن 16م، لربط ملاحظاته الشخصية عن السكان الأصليين في العالم الجديد ببعض الأفكار النظرية، فقد افترض آكوستا أن الهنود الحمر كانوا قد نزحوا أصلا من آسيا إلى أمريكا، وبذلك فسّر اختلاف حضاراتهم عن تلك التي كانت سائدة في أوروبا حينذاك وأيضا ظهر إلى جانبه في الدراسة الإثنوغرافية عن الشعوب شبه بدائية المفكر مشيل دي مونتاني Michel De-Montagne 1532م-1592م حيث أجرى مقابلات مع مجموعة من السكان وبعدها قال:"إنه لكي يفهم العالم فهما جيدا، لابد من دراسة التنوع الحضاري للمجتمعات البشرية واستقصاء أسباب هذا التنوع"، وهنا قد طُرحت فكرة النسبية الأخلاقية كذلك ما قاله يثبت موضوعيته عن أكلة لحوم البشر:"إن هؤلاء الناس أكلة لحوم البشر فطريون/طبيعيون مثل الفاكهة البرية فقد بقوا على حالهم البسيطة، كما شكلتهم الطبيعة بطريقتها الخاصة، وتحكمت فيهم قوانينها وسَيَّرتهم".

ظهر كذلك فلاسفة عصر الأنوار أمثال: جان جاك روسو J.J Rousseau في نظريته عن العقد الاجتماعي وتكلم عن التربية الطبيعية للطفل في كتابه "إيميل". وأيضا مونتسكيو الذي ربط في كتابه: روح القوانين، بين القانون والعادات والتقاليد والبيئة وضرورة الفصل بين السلطات في الدولة. وظهرت في ألمانيا النزعة القومية التعصبية والتفوق العنصري خصوصا عند هيغل1770 م-1831م جعل الشعب الألماني الشعب الأمثل والأنقى بين شعوب العالم.

القرن التاسع عشر والتوسع الاستعماري

من الواضح جدا أن الاستعمار قد مهد لوجود نقلة نوعية في الاستشراق من مضمونه الديني إلى مضامين أخرى مرتبطة بمجالات سياسية واجتماعية واقتصادية وكذا ثقافية، وهوما ذهب إليه "المبروك المنصوري" في كتابه "الدراسات الدينية المعاصرة من المركزية الغربية إلى النسبية الثقافية: الاستشراق، القرآن الهوية والقيم الدينية" إذا قسّم الاستشراق إلى ثلاث مراحل أساسية هي الاستشراق الاستعماري Orientalisme coloniale ويشمل كل ما أنتج من بداية تشكُّل هذا التوجه مع الحركة الرومنسية الغربية إلى حوالي 1960م، الاستشراق ما بعد الاستعمار Orientalisme après coloniale وهو التوجُّه المتشكل في مرحلة ما بعد الاستعمار ومع بداية القرن الحالي تشكل ما يعرف بالاستشراق الجديد فالاستعمار قد حوّل معنى الاستشراق من معنى دراسة الشرق فقط، إلى دراسته لخدمة أغراضه، وهو ما انعكس على ذهنية العربي المسلم، حيث يحدثنا إدوارد سعيد عن ذلك من خلال تعريف الاستشراق فيقول أن الاستشراق هو دراسة كافة البنى الثقافية للشرق من وجهة نظر غربي

وفي الجزائر ومع بداية خضوعها للاستعمار الفرنسي منذ 1830م لم تكن بمنأى عن الدراسات الاستشراقية، ولكن ما يميز أن هذه الدراسات كانت دراسات أنثروبولوجية وقد ظهر مفهوم الأنثروبولوجيا استجابة لما حدث من حالات التحول التي شهدتها أوروبا، وبالتحديد خلال القرن 16م والقرن 18م خاصة مع التطوروالتحول في العلوم الاجتماعية بانفصالها عن الفلسفة واتجاهها إلى المنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجربة، بالإضافة إلى حركة الاكتشافات الجغرافية التي استلزمت دراسات هذه الثقافات الجديدة .

تحرص الأنثروبولوجيا في حقولها المعرفية على دراسة الثقافة والتثاقف وشبكة العلاقات الاجتماعية، الانتشار الثقافي وشبكة العلاقات الاجتماعية، القانون، السياسة، العقيدة، الدين، الاعتقادات، أنماط الإنتاج والاستهلاك، التبادل، التربية، الجنس الاجتماعي والممارسات الثقافية للشعوب، مع التأكيد القوي على

أهمية العمل الميداني وبمعنى آخر المعيشة بين المجموعة الاجتماعية التي تدرس لفترة زمنية طويلا هذه الحقول المعرفية المرتبطة بعلم الأنثروبولوجيا جعلت هذا الأخير في بداياته يرتبط بالاهتمام البحثي بكل ما هو بعيد، بدائي وغرائبي شكلت مواضيع القرابة والهوية واللغة والدين والثقافة أهم حقول علم الأنثروبولوجيا.

بدأت الدراسات الأنثروبولوجية في الجزائر باعتبارها دراسات وصفية أو ما يعرف بالمونوغرافيا والإثنوغرافيا، والتي قام بها العسكريون والإداريون، والغرض منها معرفة طبيعة الثقافة والتقاليد الجزائرية، حيث ساهمت هذه الدراسات من أنثروبولوجيا المكتب؛ التي كان فيها الباحث يبقى في مكتبه وتأتيه المعلومات من المخبرين، إلى أنثروبولوجيا المعايشة؛ بمعنى يذهب الباحث بحد ذاته إلى المجتمع ويشارك أعضاء الثقافة تقاليدهم وممارساتهم .

نجد أن كِلا من أفكار الأمبريالية الاستعمارية المعاصرة وأفكار الأنثربولوجيا الحديثة متوافقتان فتأسست اللحظة الوجودية بين الاستعمار وبين الأنثروبولوجيا حيث أننا زمانيا من خلال أنهما تعودان إلى النصف الثاني من القرن 19م، وإيديولوجيا؛ من خلال النزعة المركزية للدول الأوروبية التي كانت ترى التخلف في الشعوب الإفريقية والآسيوية، والشعوب المغاربية بالخصوص، مما جعل التعامل معها في أدبيات الأنثروبولوجيين بوصفها مجتمعات "بدائية" على عكس المجتمعات الأوروبية التي هي متحضرة يقول ريفيه Rivet: "لا استعمار جيد دون إثنولوجيا محكمة ولا يجوز أن يتم الاستعمار بالتجريب حين تساعده أضواء الملاحظة العلمية سلفاً على إتمامه وبمعدل نجاح كبير"مما يبين أن الاستعمار قد أدرك منذ الوهلة الأولى ومن أجل استعمار سهل من الضروري معرفة تقاليد وثقافة الشعوب المستعمرَة دون الحكم عليها أو الانتقاص من قدرها حتى يستغل ويسيطر على الشعوب ليس سياسيا فقط وإنما ثقافيا كذلك، وإن كان قد أدرك ذلك متأخرا.

لقد تجسد ذلك من خلال مؤتمر "التطور الثقافي للشعوب المستعمرة" المنعقد في باريس عام 1937م، حيث أهم ما جاء فيه:"ينتقد بعض الممدّنين الذين لا إلمام لهم بهذا العلم ودون وعي منهم بسرعة جملة من المؤسسات المجربة والمضمونة إلى حدّ ما والتي أثبت الوقت الحاجة إليها وإن مؤقتا...لا يمكن رفض كل عادات الشعوب الأصلية وتقنياتها جملة واحدة...على العكس لكي يكون للعمل الاستعماري ثمرته عليه أن يكون مشاركة خالية من الأخطاء والاحتقار وسوء التفاهم أو سوء التفاهم المتبادل ".

لهذا لا نجزم أن أنثروبولوجيا الاستعمار كانت بريئة من شطحات كولونيالية صرفة، عن طريق استخدام علم الأنثروبولوجيا وإن كان يسمى آنذاك بالأثنولوجيا لخدمة المستعمر بهدف معرفة الشعب وطبيعة الأرض حتى تسهل مهمة السيطرة عليه وإخماد مقاوماته، "فقد توصل المحتل إلى أن الاحتلال العسكري يجب أن تصحبه معرفة بالخصائص الجغرافية للأرض وكذا الأنماط الثقافية والاجتماعية والدينية والمهيمنة على الأوساط الشعبية، فبدأ الاهتمام بالبحث في الإنسان الجزائري، وكان العسكريون الفرنسيون الأوائل هم الأوائل الذين خاضوا في الدراسة الأنثروبولوجية في الجزائر، ولا ازلت أعمال كوفيه Cauvet والإخوة مارسي Marcais و باسي Basset وألفرد بل A.Bell تشهد على ذلك الاهتمام الذي خصته الإدارة الاستعمارية بالمجتمع الجزائري ومكوناته الاثنية والدينية وغيرها".

غير أنه رغم استفادة الاستعمار من الأنثروبولوجيا إلا أنها في حد ذاتها قد استفادت من التوسع الاستعماري لأن الد ارسات الأنثروبولوجيا لم تخدم الاستعمار فحسب وإنما هي كذلك استفادت من خدماته مما يبرر العلاقة التبادلية بينهما إذ لا يمكن إنكار الخدمات المتبادلة بين الاستعمار والأنثروبولوجيا، فكما قدمت الأنثروبولوجيا خدمات جليلة للحركة الاستعمارية، فلقد استفادت هي الأخرى من خدمات الحركات الاستعمارية والتي كان لها أثر كبير في تقدّم الدراسات والمناهج الأنثروبولوجية فمن المعروف أن القرن 19م كان

قرن التوسعات الاستعمارية بهدف استعمار المجتمعات البدائية من أجل إحكام السيطرة عليها واستغلالها سياسيا واقتصاديا وثقافيا ودينيا، ومن هنا نشطت الد ارسات الأنثروبولوجية بأهدافها النظرية والتطبيقية متخذة من هذه المجتمعات الصغيرة مجالا لد ارستها.

فالاستعمار قد فتح المجال للأنثروبولوجيا لكي تتوسع وتتعرف على ثقافات العالم والثقافات الشرقية على وجه الخصوص، إلا أن نظرته كانت محملة بترسانة إيديولوجية من نظرة مركزية أساسها التمركز الأوروبي المرتكز على الحداثة، وثانيها النظرة الدونية للشعوب المستعمرة مما جعل وصفها بالبدائية، لهذا فدراستها ليس لتحليلها وإنما دارستها بالوصف أو ما يعرف بالمونوغرافيا حتى يسهل التحكم فيها .

مما يبرر التقاء الأنثروبولوجيا بالاستعمار في النزعة الإمبريالية، حيث "الأنثروبولوجيون أنفسهم يعترفون اليوم بأن اختصاصهم العلمي هذا يستمد موضوعه الفعلي من النزعة الإمبريالية، ويستوحي منهجه من النظرة الاستعمارية فأصبح الاهتمام بتلك الشعوب ووصف مؤسساتها من أولوياتهم ".

مع بداية تأسيس الدراسات الأنثروبولوجية وجدت نفسها مع الحركات الاستعمارية والتي احتضنتها بالدعم والمساندة، فمن الناحية التاريخية وتأكيدا عليها أن الأنثروبولوجيا "تطورت في الوقت نفسه الذين كانت فيه حركات الاستعمار تنتشر في أقاصي الكرة الأرضية"غير أن الدراسات الأنثروبولوجية لم تكن محايدة بل نتج عن ذلك التفاعل ما بينها وبين الاستعمار النظرة الأولى الانقسامية ثم جاءت بعدها نظرة القطيعة .

وصف الانثروبولوجيا و مفهومها

الأنثروبولوجا هي علم دراسة الإنسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا، إنها المعرفة المنظمة عن الإنسان، هو الدراسة العلمية للانسان في كل زمان ومكان، ولا يتقيد بفترات الزمن أو بحواجز المكان، ولكنه يتقيد ببحث موضوع واحد لا يخرج عنه وهو الإنسان وتهدف الأنثروبولوجا إلى دراسة الحياة البشرية والحضارية دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان، إضافة إلى استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل للظواهر الإنسانية والحضارية التي تتم دراستها.

فالانثروبيولوجيا هي مصطلح مركب من مقطعين باللغة اليونانية هما (انثروبوس) وتعني إنسان و(لوجيا) وتعني علم وبهذا فهي تعني: "علم الإنسان أو المعرفة المنظمة عن الإنسان وبذلك يصبح معنى الانثروبولوجيا من حيث اللفظ "علم الإنسان أي العلم الذي يدرس الإنسان. وتاريخ استخدام هذا الاصطلاح حسب العلامة الانكليزي هادون بعود للحضارتين الاغريقية والرومانية، حيث استخدمه "ارسطو" للإشارة إلى الشخص الذي يتحدث عن نفسه، ويتضح من المعنى اللفظي لاصطلاح الانثروبولوجيا ان موضوع هذا العلم هو الانسان و هو الاطار الوحيد الذي يحدد الموضوعات التي يدرسها هذا العلم اما الزمان والمكان فلا يقيدان الموضوعات التي تدخل في نطاقه بمعنى أنه العلم الذي يدرس الانسان واجداده وأصوله منذ أقدم العصور والازمنة حتى الوقت الحالي، فهو يدرس الانسان في كل زمان، وكذلك يدرس الانسان في كل مكان، ولا يتقيد بفترات الزمن أو بحواجز المكان، ولكنه يتقيد ببحث موضوع واحد لا يخرج عنه وهو "الانسان".

تجمع الانثروبولوجيا في علم واحد الجوانب البيولوجية والاجتماعية و الثقافية للإنسان وميدان الدراسة الأساسي لها هو الجماعات أو المجتمعات التي تدعى بالبدائية وإن كان هذا الميدان اتسع في الفترة الأخيرة بحيث أصبح يشمل المجتمعات العليا القديمة وبتأثير المدرسة الثقافية الأميركية ازداد المجال ما ليشمل مجتمعات أوروبية الأصل تعيش في ظروف تكنولوجية حديثة، وبالتالي أصبحت تدرس الأنماط الحضارية ذات الطابع

المعاصر والقديم والأولي والمدني، كما تدرس المجتمعات الحديثة في الريف والمدينة وتأثير الهجرات و التركيبات الحضارية الثقافية المعاصرة.

فعلم الانثروبولوجيا هو احد فروع العلوم الإنسانية، والانثروبولوجيا أو الإتنولوجيا كما عرفت قديما هي عبارة عن دراسة المجتمعات البدائية، التي كان يقال عنها أنها لم تعرف الكتابة، ولم يتم فيها استعمال الآلة لكن ما لبث هذا العلم أن تحول من علم يدرس المجتمعات البدائية إلى علم يدرس المجتمعات على اختلاف مستوياتها البدائية والمتقدمة والمعاصرة، ذلك لما تحمله كلمة (بدائية) من تجريح للشعوب الفقيرة، خاصة أن هذه الشعوب صارت إلى الزوال.

اولا المفهوم الاصطلاحي للانثروبولوجيا

مفهوم علم الأنثروبولوجيا

ينتج الإنسان عبر حضارته وثقافاته فكرا مختلفا ومتعددا من حيث المواضيع والتخصصات، والمرحلة الحديثة تعتبر أهم المراحل باعتبارها فسيفساء من العلوم بشقيها علوم الطبيعة وعلوم الإنسان تعتبر الأ نثروبولوجيا أهم علوم الإنسان التي تهتم بثقافة الإنسان في أزمنة مختلفة.

لغويا: الأنثروبولوجيا Anthropologie كلمة متكونة من:

* Anthropos : وتعني الإنسان

* Logos : وتعني العلم

إذن الأنثروبولوجيا تعني حرفيا علم الإنسان، ولكن الترجمة الحرفية تكاد تكون بعيدة

وعامة عن تحديد ماهية وخصوصية العلم لأن لو قلنا علم الإنسان فعلم الاجتماع هو كذلك علم الإنسان وكذلك علم النفس وكافة العلوم الاجتماعية، ولهذا نفضل استخدام لفظ "الأنثروبولوجيا" بدلا عن علم الإنسان .

اصطلاحيا: تعني الأنثروبولوجيا أنها "علم من العلوم الإنسانية يهتم بمعرفة الإنسان معرفة كلية وشمولية ، وإذا أردنا التخصيص أكثر الأنثروبولوجيا هي الدراسة الشاملة لثقافة الإنسان، باعتباره يكتسبها في المجتمع، وهي التي تجعله في علاقة مع الطبيعة، فمثلا: الأكل حاجة طبيعية ولكن طريقة الأكل هي الثقافة.

وتستعين الأنثروبولوجيا وتتداخل مع علم الآثار أو الآركيولوجيا حيث" يدرس علم الآثار فترة ما قبل التاريخ وجزء من تاريخ البشرية من خلال الحفريات وتحليل بقايا الثقافات الماضية.

الفروقات بين الأنثروبولوجيا والاثنولوجيا والاثنوغر افيا

يتفق أغلب الباحثين الاجتماعيين على أن العلاقة بين الانثروبولوجيا والاثنولوجيا والاثنوغرافيا هي علاقة معرفية تكاملية وعضوية يصعب فصل الواحدة عن الأخرى أحيانا حيث أنها " لا تشكل ثلاثة علوم مختلفة بل ثلاثة مراحل متتابعة وبشكل أدق ثلاثة تصورات مختلفة لبحث واحد "هذا من جهة، ومن جهة اخرى فالمعارف الثلاثة تؤدي إلى بعضها البعض في كثير من الدراسات التي تبدأ اثنوغرفيا وتنموا اثنولوجيا لتصل إلى ذروة المساءلة الأنثروبولوجية .

فالاثنوغرافيا هي الدراسة الوصفية للشعوب ، والبحث الاثنوغرافي يسعى إلى جمع المعلومات رصدا في المنطقة التي تعنيه وفي عين المكان بالمشاركة والملاحظة وتزعم الاثنوغرافيا بعد جمع المعلومات الوصول إلى تصنيف وتقديم للواقع كما هو كما لوحظ في عين المكان بواسطة عاداته، وتقاليده، وأعرافه، ولا يقف في

رصده بالتالي عند حد الأنشطة المادية للشعب أو الشعوب التي يدرسها وإنما يتجاوزها إلى شعائرها الروحية وقيمها المعنوية في زمن ومكان معينين .

الاثنولوجيا هي علم الشعوب أو دراسة الشعوب فالاثنولوجيا في مجموعها علم دراسة خصائص الشعوب اللغوية والثقافية والسلالية وتفسير توزعها الجغرافي نتيجة الهجرات واتصال الشعوب بعضها ببعض وكذلك تدرس الحياة أوالجوانب المادية من الحضارة وأشكال الحياة الاقتصادية وتنظيم المجتمع وشكل الأسرة والتنظيم العشائري والقبلي ونظام الحكم والنظم القانونية والعقائد الدينية والفنون وغير ذلك من النشاط والسلوك الحضاري وبالتالي العلاقة بين الأنثروبولوجيا تتلخص فيما يلي:

المحطة الأولى: الاثنوغرافيا :الرصد والشرح والوصف والتفسير.

المحطة الثانية: الاثنولوجيا :التحليل والمقارنة والتصنيف .

المحطة الثالثة: الانثروبولوجيا :استنباط القواعد والقوانين والأنساق.

يشار الى الانثروبولوجيا على أنها علم الإنسان من حيث هو كائن اجتماعي ومنها الانثروبولوجية الطبيعية والاجتماعية والحضارية والتطبيقية. ولذلك فهي تعرف بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كالن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وانساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكاً محدداً، وهو ايضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدا على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الانثروبولوجيا) علماً متطوراً يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله.

وتعرف أيضا بأنها علم (الأناسة) العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق، ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى انه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها، والمخلوق الذي يتميز عنها جميعاًكما تعرف الانثروبولوجيا بعدة تعريفات منها:

.1 علم الجماعات البشرية وسلوكها وإنتاجها.

.2 علم الإنسان من حيث هو كائن طبيعي واجتماعي وحضاري.

3 علم الحضارات والمجتمعات البشرية

ثانيا: مجالات الانثروبولوجيا حسب تصور الانتروبولوجيين الأمريكيين:

التصور الأميركي الذي ينظر للانثروبيولوجيا كعلم يهتم بدراسة الإنسان من الناحيتين العضوية والثقافية على حد سواء ويستخدم الأميركيون مصطلح الانثروبولوجيا الجسمية أو الفيزيقية للإشارة إلى دراسة الجانب العضوي التطوري الحيوي للإنسان بينما يستخدمون مصطلح الانثروبيولوجيا الثقافية لمجموع التخصصات التي تدرس النواحي الثقافية والاجتماعية لحياة الإنسان يدخل في ذلك الدراسات المتعلقة بالإنسان القديم (الأركيولوجيا)، كما تتناول الانثروبيولوجيا الثقافية دراسة لغات الشعوب الأولية واللهجات المحلية والتأثيرات المتبادلة بين اللغة والثقافة بصفة عامة وذلك في إطار ما يعرف بعلم اللغة وحددت الباحثة الأمريكية مارغريت ميد/ طبيعة علم الانثروبولوجيا ابعاده، بقولها: " إننا نصف الخصائص الإنسانية للجنس البشري (البيولوجية الثقافية) كانساق مترابطة ومتغيرة، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج تطورة كما نهتم أيضا بوصف النظم الاجتماعية والتكنولوجية وتحليلها، إضافة الى البحث في الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصالاته.

وبصفة عامة، يسعى الانثروبولوجيين - لتفسير نتائج الدراسات والربط فيما بينها في إطار نظريات التطور، أو ضمن مفهوم الوحدة النفسية المشتركة بين البشر، من منطلق ما سبق يمكن تحديد مجالات

الانثروبولوجيا حسب التصور الامريكي بدراسة الإنسان من الناحيتين: **الجانب العضوي أو التطوري الحيوي للانسان وهو الانثروبولوجيا الفيزيقيةاو الجسمية الجانب الثقافي أو الانثروبولوجيا الثقافية** وتعني مجموع التخصصات التي تدرس النواحي الاجتماعية والثقافية لحياة الإنسان، يدخل في ذلك: علم اللغويات، دراسة لغات الشعوب الأولية (البدائية) واللهجات المحلية والتأثيرات المتبادلة بين اللغة والثقافة بصفة عامة الاركيولوجيا، وتتعلق بحياة الإنسان القديم (حضارات ما قبل التاريخ) الاثنوغرافيا، الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة..

ويرى العالم "هيرزكوفنتر" في كتابة (الإنسان وأعماله) بان الاثنوغرافيا هو وصف للحضارات وبحث مشاكل النظرية المتعلقة بتحليل العادات البشرية للمجتمعات الإنسانية المتباينة، والاثنوغرافيا من اقدم فروع المعرفة في علم الانثربولوجيا والأثنولوجيا، تهتم بالدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الأثنوغرافية بهدف الوصول إلى تصورات نظرية أو تعميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية من حيث أصولها وتطورها وتنوعها ، وهذه الكلمة الغربية (الاثنولوجيا) هي الإسم العلمي لعلم السلالات البشرية، وهو العلم الذي يختص بدراسة الشعوب والأجناس المختلفة فيقوم بتصنيف الشعوب الموزعة على وجه الأرض إلى خمس مجموعات اساسية وهي مجموعة البيض مجموعة الصفر، مجموعة السود، والبوشمان التي تعيش حاليا في انجولا ويبلغ تعدادها عشرة آلاف نسمة اما المجموعة الخامسة فهي قبالل (الأمورجين) التي عاشت في استراليا قبل وصول المستوطنين الأوروبيين.

مجالات الانثروبولوجيا حسب تصور الانتروبولوجيين الأوروبيين،

الانثروبولوجيا كلمة مشتقة من اسمين يونانيين، الأولAnthropos : وتعني الإنسان، والثاني، Logos وتعني العلم، وقد ظهر هذا المصطلح اول ما ظهر حسب ما يرى الباحث الفرنسي "جان بواريه في القرن 18 ليعني دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان، وربما كان عالم الطبيعة الألماني جوهان بلومينباع" هو أول من أدخل الكلمة لمنهج تدريس التاريخ الطبيعي، وذلك في الطبعة الثالثة لكتابه الذي صدر عام 1795 بعنوان التنويعات الطبيعية الجوهرية بين البشر، ثم أشاع الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط استخدامه خاصة بعدصدور كتابه " الانتروبيولوجيا من منظور عملي اما التصور الأوروبي للانثروبولوجيا فهو مختلف بين بلد وآخر، فقد كان يقصد بالانثروبولوجيا حتى عهد "كانط" دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان حيث اتسعت في اوروبا موضوعات الانثروبيولوجيا بهذا المعنى وتنوعت لتشمل:

المقارنة بين الإنسان والحيوان

تنوع السلالات البشرية

الخصائص الور اثية للشعوب

الدراسات المقارنة بين الإناث والذكور من حيث الصفات التشريحية، والعمليات البيولوجية، وصلة ذلك بتحديد الأدوار والوظائف الاجتماعية لكل نوع وقد اختلف مفهوم الانثروبولوجيا بين الدول الاوروبية، وفيما يلي توضيح لذلك

مفهوم الانثروبولوجيا في بريطانيا:

أطلق الإنكليز عليها مصطلح "الانثروبيولوجيا الاجتماعية وتعاملوا معها كعلم قائم بذاته لا يدرج تحته أي من الأركيولوجيا أو علم اللغويات وهذا ما ساعدهم على وضع نماذج نظرية تشرح ابنية المجتمعات وتفسر الأليات والوظائف التي تساعد على استمرارية الحياة الاجتماعية وتماسكها، وبهذا خرج إلى الوجود ما

يشار إليه مثلا بانثروبيولوجيا القرابة أوالدين أو الاقتصاد أو النظم السياسية وغير ذلك مما يسير ضمن إطار الانثروبيولوجيا الاجتماعية وتتحدد مهمة الانثروبولوجيا الاجتماعية حسب: "إدوارد إيفانزبريتشارد" بدراسة كل من: السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة ونسق القرابة والتنظيم السياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية. العلاقات بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية...

الانثروبولوجيا في المانيا:

في البلاد ذات اللغة الألمانية، تقسم الاثنولوجيا إلى فرعين مستقلين فبينما يهتم "علم الشعوب بالشعوب المعتبرة غريبة، يدرس "علم الشعب" الثقافة الألمانية بصورة حصرية. ولقد ازدهر علم الشعب في نفس فترة الحركة القومية الألمانية، بداية القرن 19، ومع استلهامها من فكر الرومنطقيين الألمان، فإنها ستمدت غذائها من فقه اللغة الجرمانية. أما علم الشعوب فإنه نشأ في نهاية القرن 19، وباستثناء فترة 1885 - 1918، فإنه سيكون اثنولوجيا لمجتمعات دون مستعمرات ودون مفردات للسكان المحليين فلقد اهتم أساسا بإعادة تشكيل الحضارة الأصلية واعتمد منهجا حدسيا، ورغم أن الطلاق بين العلمين كان قد أعلن ابتداءا من نهاية 19 ، فإنهما يشتركان في عدد من المعطيات، لقد ارتبط الاثنان باهتمام كبير بالمتاحف الغربية والفولكلورية، وهما يعرفان الثقافة حسب قطبية مزدوجة بين المادي والروحاني، مما يهدد بتغييب التنظيم الاجتماعي، كما ان الاثنين يعلنان تميزهما عن السوسيولوجيا ويؤكدان عدم انتمائهما إلى العلوم الاجتماعية تستخدم الكلمة للإشارة إلى الدراسة الطبيعية للإنسان، وكلمة اثنولوجيا لتشير إلى علم الشعوب.

الانثروبولوجيا في روسيا:

ويشيع في روسيا استخدام مصطلح الإثنوغرافيا، الذي يدرس التنظيم الإجتماعي للمجتمعات البدائية (والمقصود بالبدائية الشعوب المنعزلة غير الأوروبية) وخاصة فيما يتعلق بالتحولات التي تحدث لي تلك المجتمعات عند تحولها إلى دول جديدة.ويهتم الاثنوغرافيين الروس بدراسة المشكلات المتصلة بالجماعات العرقية المشاعرالقومية للاقليات وتطور المجتمعات الانسانية في إطار النظرية الماركسية ونتائج الثورة البلشفية التي حدثت 1917، وتعد الثورة البلشفية في روسيا القيصرية هي التطبيق العملي لأفكار وكتابات المفكر "كارل ماركس" ومساعده "فريدريك انجلز"بعد 1917عرفت الاثنوغرافيا ازدهارا كبيرا، في الوقت الذي سخرت فيه سيما مع الألسنية لخدمة أهداف الدولة الاشتراكية التي أكملت وطورت في النظام السابق في ما يتعلق بإدراج الشعوب الاسيوية البدائية أو البدوية في المجمل الذي يسيطر عليها الروس، احترمت السياسة الجديدة لاحتواء تلك الشعوب قاعدتها الأرضية وهويتها الألسنية والثقافية، وجزءا من نمط معيشتها وتتابع جمع المواد يرافقه عمل إثنوغرافية تطبيقية كذلك خصت الماركسية الرسمية الاثنوغرافيا بمهمة نظرية لكونها علما مساعدا للتاريخ مثل الانثروبولوجيا المادية والألسنية، وتنطوي هذه المهمة على إظهار شكليات تطور المجتمعات بينما استندت الأطر الفكرية التي فرضت على العلم إلى كتاب انجلز اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة الذي وضع اساسات "النظرية الماركسية في الانثروبولوجيا ابتداء من العشرينيات انتشرت الإثنوغرافيا السوفياتية أكثر فأكثر على هامش الانثروبولوجيات الوطنية الأخرى.

الانثروبولوجيا في الوطن العربي،

الانثروبولوجيا هي علم دراسة الانسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا، وحددت فروع الانثروبولوجيا: الانثروبولوجيا الطبيعية – الاجتماعية - الثقافية ان الانثروبولوجيا لم تلق لفترة طويلة ترحيبا - معظم الدوائر العلمية العربية وقد ظل تدريسها حتى مدة قريبة محدود جدا بداخل اقسام الفلسفة أو علم الاجتماع ودخلت

إلى العالم العربي في الثلاثينيات تحت اسم (علم الاجتماع المقارن) وذلك على أيدي عدد كبير من علماء الانثروبولوجيا البريطانيين، مثل بريتشارد، وهوكارت وبريسينافي ممن تولوا التدريس في الجامعة المصرية، ثم جاء بعدهم في الاربعينيات عميد الانتروبولوجيين في ذلك الحين "راد كليف براون " الذي قام بتدريسها في جامعة الاسكندرية تحت اسم علم الاجتماع المقارن و لعل من الأسباب التي لم تسمح للانثروبولوجيا بالانتشار كفرع من فروع المعرفة ما يشير اليه البعض من تعارض نظرية التطور الحيوي للانسان مع التفسيرالديني الذي يرى أن الإنسان مخلوق الهي لا يمثل حلقة متطورة من أصل حيواني الى جانب ذلك، ربما كان الارتباط مفهوم الانثروبولوجيا تاريخيا بدراسة المجتمعات المتخلفة أو البدائية، وصلتها بالاستعمار تاثيرا ما التقليل من قيمة علم الانتروبولوجيا في نظر الدوائر العلمية العربية، وخاصة مرحلة العمل على التقدم والاستقلال لشعوب المنطقة العربية

منذ الستينيات كسبت الانثروبولوجيا أرضية جديدة في العالم العربي حيث حظيت بفهم أفضل لإمكانية استخدامها لما يحقق أهداف العالم العربي في التقدم والازدهار، وترى ذلك واضحا في الازدياد المطرد في تدريس مادة الانتروبولوجية في الجامعات والمعاهد العليا بالبلاد العربية.

اهداف الانثروبولوجيا:

يمكن تحديد أهداف الدراسات الانتروبولوجية كما يلي:

- ✓ ترقب السلوكات المقبلة للمجتمعات موضوع البحث، بغية تحديد العلاقات التي يفترض انشاؤها مع هذا المجتمع.
- ✓ حل النزاعات بين الشعوب.
- ✓ تشخيص ردود الأفعال الممكنة، التي قد يتخذها مجتمع معين حيال خطة تنموية معينة.
- ✓ تبين مدى إمكانية تقبل مجتمع معين لثقافة معينة، من خلال معرفة كيفية عيشها وطرقه، وكيفية تفكيرها
- ✓ وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا، وذلك عن طريق معايشة الباحث المجموعة أو الجماعة المدروسة، وتسجيل كل ما يقوم به افرادها من سلوكات في تعاملهم الحياة اليومية .
- ✓ تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية، وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة في سباق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان، بدائي - زراعي- صناعي - معاصر - تكنولوجي
- ✓ تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان واسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية، وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيير المختلفة استنتاج المؤشرات والتوقعات لأتجاه التغيير المحتمل للظواهر الإنسانية الحضارية التي تتم دراستها، وبالتصور بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة
- ✓ استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المتحمل، في الظواهر الإنسانية التي تتم دراستها، وبالتصور بالتالي لإمكانية التنبؤ بمستقبل الجماعة البشرية التي أجريت عليها الدراسة.
- ✓ ومع تمجيد العرق عبر التاريخ في كل الثقافات أدت الأنثروبولوجيا بدراستها إلى دراسة الأعراق بدون تطرف لعرق على حساب عرق آخر، وهذا ما أدى إلى ترسيخ مبدأ النسبية الأخلاقية، بمعنى أن الأخلاق والمبادئ هي نسبية حسب طبيعة كل ثقافة وتطورها عبر التاريخ.

- ✓ إن اهتمام الأنثروبولوجيا بدراسة المجتمعات الإنسانية كلها، وعلى المستويات الحضارية كافة، يعتبر منطلقا أساسيا في فلسفة الأنثروبولوجيا وأهدافها، ولكن على الرغم من التوسع في مجال الدراسات الأنثروبولوجية، فما زالت الاهتمامات التقليدية للأنثروبولوجيا، ولا سيّما وصف الثقافات وأسلوب حياة المجتمعات، ودراسة اللغات واللهجات المحلية وآثار ما قبل التاريخ، تؤكد ولا شك تفرّد مجال الأنثروبولوجيا عما عداها من العلوم الأخرى، ولا سيّما علم الاجتماع.
- ✓ عموما تكمن أهمية الأنثروبولوجيا في إيجاد القواسم المشتركة للإنسانية بعيدا عن خطاب العنف والكراهية والتطرف، وبالتالي أهميتها تكمن في التأسيس للنزعة الإنسانية قوامها التحاوروالمحبة والتعارف.

انتقال الانثروبولوجيا من دراسة المجتمعات البدالية إلى دراسةالمجتمعات المعاصرة

ركز علم الانثروبولوجيا في بدايته منذ القرن التاسع عشر الميلادي على دراسة الإنسان واسلافه الأوائل واصوله منذ اقدم فترات التاريخ، وما قبل التاريخ وفي كل بقاع العالم، وذلك من خلال الحفريات والآثار، ولهذا انصبت اهتماماته على دراسة المجتمعات البدائية، لكن ما لبث هذا العلم أن تحول من علم يدرس المجتمعات البدائية إلى علم يدرس المجتمعات على اختلاف مستوياتها البدائية والمتقدمة والمعاصرة، ذلك لما تحمله كلمة (بدائية) من تجريح للشعوب الفقيرة، خاصة ان هذه الشعوب صارت إلى الزوال فأصبحت الانثروبولوجيا تدرس الظاهرات البشرية الحالية والماضية، والمجتمعات المصنعة والمتخلفة تقنياً، حيث توسع مجال الدراسة وشمل المجتمعات غير البدائية كالقروية والبدو الرحل، والمجتمعات المتمدنة أي أنها تدرس الثقافات التي تعتبر أجنبية بالنسبة لثقافة المعاين وبالتالي يمكن للانثروبولوجي الذي لديه ثقافة مدينية أن يدرس مجتمعاً ذا ثقافة ريفية فلاحية وان يدرس تقاليده الشعبية..

اما اسباب اقتصار اهتمام علماء الانثروبولوجيا التقليدية على تحليل الاصول التاريخية لبعض المجتمعات البدائية فهي كثيرة، ومن خلال نظرة تحليلية لكل هذه الأسباب، يمكن تحديدها بالنقاط التالية:

1استخدامها من قبل المستعمرين

وبخاصة في مرحلة الاستعمار القديم وللتحكم بالشعوب المستعمرة (الاستعمار القديم) فقد درس الانثروبولوجيون المجتمعات غير الأوروبية، التي كانوا يطلقون عليها المجتمعات البدائية أو البربرية أي: المجتمعات الصغيرة والمعزولة، مثل: "المجتمع القبلي"، أو التي لا تعرف الكتابة؛ كما سماها البعض تلك الفترة والآن، عن طريق مجموعة من الرحل والمستكشفين والعسكريين الذين كانوا يذهبون إلى هناك على شكل بعثات استكشافية لهذه المجتمعات الغاية منها توطين الاستعمار بها واستغلالها، خصوصا مجتمعات العالم الإسلامي، مع التركيز على المشرق العربي، كون هذه المنطقة هي مهد للديانات السماوية، وتتوفر فيها ثروات مهمة كالنفط والغاز الطبيعي، بالإضافة إلى أنها عرفت امتداد ثلاث إمبراطوريات كبرى.

2، يعتمد علم الانثروبولوجيا على المنهج التكاملي:

أو ما يسمى في هذا العلم بالنظرة الشمولية وبالتالي تسعى الدراسات الانتروبولوجية نحو تحديد جميع عناصر الثقافة والنظم الاجتماعية في مجتمع ما وهذا لا يتحقق غاليا إلا بدراسة المجتمعات البدائية صغيرة الحجم مثل قبائل النوير والأزاندي بالسودان وهنا يعمل الانتربولوجي إلى تشخيص طريقة حياة ابناء القبيلة، من خلال ملاحظة مساكنهم وملابسهم والأدوات التي يستخدمونها ونظمهم العائلية والقرابية والاقتصادية والدينية وكذلك يهتم بدراسة الطقوس الدينية والمعتقدات السحرية والعادات والتقاليد والفنون السائدة

علاوة على اهتمامه بتناول النظام السياسي والجماعات التي تتكون منها القبيلة والمراكز الاجتماعية فيها والأدوار الاجتماعية لأفرادها، وهكذا يستطيع الانتروبولوجي التعرف على طريقة حياة المجتمع الصغير الذي يدرسه على حين لو أجرى هذه الدراسة على المجتمع الهندي أو المجتمع الفرنسي أو المجتمع المصري لعجز عن تحديد طريقة الحياة تلك، ولما توصل إلى الصورة الكلية التي يقود إليها المنهج التكاملي

3العامل الإيديولوجي

يرى الانثروبولوجيون أن العامل الإيديولوجي لعب دورا بارزا في تركيز علماء الانثروبولوجيا الأوائل على دراسة المجتمعات البدائية صغيرة الحجم نظرا لما تتصف به تلك المجتمعات من سمات رئيسة تشكل مجالا خصبا للانثروبولوجي وللتعرف على أصل الانسان وتطور المجتمعات من بدائية إلى متحضرة "حيث سعى بعضهم إلى وضع مقياس يقيس تطور المجتمعات بحيث تحتل المجتمعات الأوروبية قمته (مائة درجة مثلاً)، وتشغل المجتمعات البدائية نقطة البداية فيه (الصفر مثلاً)، وبين هذين القطبين (من الصفر إلى المائة)، يمكن التعرف على المستوى أو الدرجة التي تشغلها هذه المجتمعات على مقياس التطور

.4 البحث عن الأصول الأولى للنظم والثقافات

كان السبب الآخر في تركيز علماء الانثروبولوجيا على دراسة المجتمعات البدائية، أو ما يسمونها ب "المجتمعات اللاكتابية " المنعزلة أو الأقل تقدما هو البحث من الأصول الأولى للنظم والثقافات، معتقدين أن هذا هو الطريق إلى فهم كيفية تطور الثقافة وطبيعة السلوك الإنساني، وذهبوا إلى اعتقاد أن الثقافات قد نشات وتطورت في سلسلة من المراحل المتوازية، ويرى الانثروبولوجيون ان غاية تغير المجتمعات هو التقدم والرقي، وأن المراحل التي يمر بها أي نظام من الأنظمة الاجتماعية هي المراحل نفسها التي يمر بها أي مجتمع آخرا فكل نظام يتطور وفق مراحل معينة، ويتعين عليه أن يمر بها مهما كانت الظروف لأن تلك المراحل عالمية، أي يمر بها كل مجتمع في العالم في خطوط مستقيمة، وبما أن المجتمعات البدائية تمثل البداية البسيطة للمجتمعات المركبة، فإن دراسة هذه النظم الاجتماعية البسيطة تمكنهم من فهم كيفية نشوء التركيبات الاجتماعية والسياسية المعقدة، ومن ثم كيف تطورت، هذا الافتراض بدا يتضاءل لظهور دراسات اثبتت أن انساق تطور المجتمعات لا تتم عادة بشكل واحد "دراسة المجتمعات البدائية في افريقيا قد لا تؤدي الى فهم واقع المجتمعات الأوروبية المعاصرة.

النظريات الأساسية في علم الأنثروبولوجيا

تتميز الأنثروبولوجيا التقليدية بدراستها للمجتمعات البدائية، ومحاولة التنظير انطلاقا من سؤال أصل الثقافة ولهذا ظهرت مجموعة من التيارات الأنثروبولوجية أوالنظريات، التي أعطت رؤية نظرية حول الثقافة والقوانين التي تحكمها وأهم هذه التيارات نجد:

1.التيار التطوري:

ارتبط هذا التيار من خلال التسمية بعلم البيولوجيا عند شارل داروين ولامارك في القرن 19، ولقد أثرت في الكثير من العلوم الإنسانية كالفلسفة والاثنولوجيا، هذه النظرية تنطلق من فكرة أساسية وهي أن المجتمع يشبه العضوية الحية الجسم الحي، دون أن تهمل التطورات التي تحدث للمجتمع وتضيف هذه النظرية أنه حتى الصفات المعنوية مثل الثقافة والتقاليد والعادات والأعراف تطورت كما تطورت الصفات البيولوجية، وهذا ما يساعد في فهم المجتمعات من خلال تحسين وتنظيم المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.اهتم تايلور Edward Tylor 1832 Burnett1917 بالأنثروبولوجيا الدينية حيث يعتبر أحد

روادها، ومن بين الموضوعات: إشكالية الخلود، أو مصير الإنسان بعد الموت، وبالخصوص درس تطور الدين المسيحي وبين أصل نشأته في التاريخ بالنزعة الحيوية أو الروحية؛ وهي الاعتقاد بوجود كائنات روحية عديدة مكلفة بشؤون البشر سواء بالخير أو بالشر ومن خلال تلك النظرية رأى تايلور أن الطقوس التي يقوم بها البدائي ما هي إلا صلوات للتقرب من تلك الأرواح التي تدخل بعد الموت في جسد فتصيبه بالمس أوالجنون، وهذه الأرواح يمكن تقييدها عن طريق التعبّد بتلك الأشياء التي تسكنها الأرواح وبناءً على ذلك ميّز تايلور بين الدين والسحر؛فإذا كان الدين يرتكز على الاعتقاد في كائنات روحية، فإن السحر يرتكز على التماثل والارتباط في الأشياء التي يشبه بعضها البعض في الفكر السحري ويعتقَد بأنها متصلة سببيا أحدهما بالآخر وباستخدام بعض الأساليب السحرية المعينة من الممكن أن تتأثر تلك الأشياء بما يماثلها، وبالتالي فإن السحرمثل العلم لكنه يرتكز على تعليل باطل، ومن هذا المنطلق سماه تايلورالعلم الزائف لوصف السحر. Lewis 1818-1881 Henry Morganلويس مورغان وباعتباره رجل أعمال أمريكي فقد قام بزيارات وعمل ميداني على شعوب هنود الأروكوا مجتمع كان يعيش قرب نهر سانت لوارن في أمريكا، وتوصل إلى أن تطور الأدوات أدت إلى تطور القيم، وهذه الوسائل والأدوات تتجلى في أدوات الزارعة والصيد ويرى أن مراحل التطور تتمثل في: التوحش- البربرية- الحضارة.

James George Frazer 1854 -1941جيمس فرايزر اسكتلندي متخصص في الحضارات القديمة، يعتبر امتداد لتايلور ومورغان، كتب 12 مجلد سماه الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين، بحيث يرى أن أصل الدين هو السحر وهو شكل أولي منه ابتدأ بالاعتقاد في الأرواح، وقسمه إلى سحر أبيض لجلب الخير، وسحر أسود لجلب الإساءة.

2.التيار الانتشاري التاريخي:

ظهرت هذه النظرية كنقد للنظرية التطورية ليس في المجال التاريخي، ولكن في كيفية انتقال الثقافة من مجتمع إلى مجتمع آخر،ومن أهم روادها فرانس بواز1885 Frans Bouaz-1942؛ يمتاز بالدقة العلمية، وأول أعماله كانت على سكان الأسكيمو قبل أن يختص دراسة كولومبيا البريطانية كندا حاليا ويرى بواز أن الثقافة تكون في مركز واحد ثم تبدأ في الانتشار عبر المكان والزمان، بفعل التواصل والتثاقف بين الشعوب .

3.التيار الوظيفي:

ظهرت هذه النظرية كرد فعل على النظرية التطورية، واتصف الإتجاه البنائي الوظيفي بأنه لاتطوري، وبالتالي لاتاريخي إذ ركز على دراسات الثقافات كل على حدى في واقعها وزمنها الحالي فالوظيفة ليست دراسة متزامنة وإنما آنية ولذلك اختلفت عن الدراسات التاريخية التي اعتمدها كل من التطوريين والانتشاريين، لأن العلم ليس غرضه البحث عن تاريخ الظاهرة وإنما الكشف عن علاقات الظاهرة بغيرها في الظواهر للوصول إلى القوانين التي تحكمها يعتبر هذا التيار تصورالظواهرالإنسانية تصويرا نسقيا وظيفيا وتوجد عدة نظريات وظيفية أشهرها نظرية نظرية دوركايم، ومالينوفسكي واردكليف براون.

إميل دوركايم:)1858 E.Durkheimم-1917م يعتبر أول ارئد في النظرية الوظيفية، حيث أقرّ بتفسير الاجتماعي بالاجتماعي، وأشيئة الظواهراعتبارها أشياء بغرض الموضوعية، وقد تحدّث عن تقسيم العمل في كتابه: حول تقسيم العمل الاجتماعي في 1893م ، حيث ربط التضامن الآلي بالمجتمع التقليدي والتضامن العضوي بالمجتمع الحديث.

مالينوفسكي 1884 Radcliffe-Brown-Bronislaw Malinowski 1881-1955 1942براون راد كليف كلاهما تأثرا بدوركايم، وهما حلقة ربط بين الفكر السائد في القرن 19م، والاتجاهات الجديدة للفكر الاجتماعي

الظاهرة في بداية القرن 20م يرى مالينوفسكي أن الثقافة تساهم في إشباع الحاجات الطبيعية للإنسان والتي حصرها في التغذية والإنجاب والراحة البدنية والأمان و الاسترخاء والحركة والنمو وتنشأ النظم الاجتماعية عادة لتحقيق تلك الرغبات فنجد مثلا: الزواج والأسرة يشبعان الحاجة الغريزيةالجنسية، ويؤديان وظيفة الإنجاب والتربية، كما أن المسكن والملبس يمكنان الجسم من الحصول على القدر اللازم في الراحة والتوافق البدني والنفسي ولكي تستمر الثقافة في أداء وظيفتها لابد من توافر اللوازم المادية كأدوات الصيد والحرب مثلا، ولابدّ أيضا وضع قواعد الاحترام والطاعة والسلطة والتطبيق لأحكام الضبط الاجتماعي أما راد كليف براون الذي يعتبر أول أنثروبولوجي في بلده كان تعليمه الأنثروبولوجي وتكوينه في المجال بشكل دقيق، ولقد أقام أبحاث ميدانية في جزر أندمان بين عامي 1906-1908، وقد تأثر فيما بعد بدوركايم وبقي مخلصا لمدرسته الاجتماعية وهذا ما جعله انطلاقا منها أن يعمق أبحاثه في الطوطمية وحول مشكلات الأبوية.

4. التيار الثقافي

يسمى أيضا بالتيار الأيكولوجي الثقافي ومن أهم أقطابه: جوليان ستيواردJolian
2016-1928Fredrick Barth وفريدريك بارت Steward1902-1972 يركز أصحاب هذا الاتجاه على العلاقة الدينامية المتبادلة بين الإنسان والمكونات الطبيعية للبيئة التي يعيش فيها، بمعنى آخر يبحثون عن عمليات التكيف التي تؤدي إلى ظهور صيغ ثقافية، ومعظم الذين مهدوا لهذا الاتجاه كانوا من الجغرافيين القدامى الذين أقروا بأن تأثير البيئة الجغرافية حتمي وأساسي في تطور الثقافة كما رايناها عند ابن خلدون
ولهذا يأخذون ثلاث أبعاد في هذا التكيف:
البعد العضوي: هو كل الأشكال المحيطة من الكائنات البيولوجية البسيطة إلى الحيوانات المستأنسة والمتوحشة التي يعتمد عليها الإنسان في غذائه .
البعد غير العضوي: يشمل كل ما ليس حيوان ونبات، كالجماد والتربة والعوامل البيئية التي تحدد المناخ .
البعد الثقافي: يتكون من ثقافة الإنسان الخاصة وطرق حياة الآخرين سواءالجماعات المحيطة أو المجاورة أو البعيدة)

5.النظرية الرمزية

سنحاول أن نركز على نظريتين اهتمت بنفس الموضوع، ونحدده في موضوع الرمز ولتحديد معناه سنتناول بيار بورديو في نظريته الرأسمال الرمزي وكليفورد غيرتز في نظريته التأويلية الرمزية.
1. نظرية الرأسمال الرمزي صاحب هذه النظرية هو بيار بورديو)1930 P.Bourdieu-2002 الذي يتحدث عن عملية في المجتمع، وهي إعادة الإنتاج في الثقافة، وقد استند في تحليله على مفهومي "أرس المال الثقافي)" le Capital Culturel(والهابيتوس)L'Habitus(وعلى آليات إعادة الإنتاج من خلال الأسرة والمدرسة.
رأس المال الثقافي: يمكن تعريف "رأس المال" بالنسبة لبورديو على أنه "علاقة اجتماعية داخل نسق من التبادل يشمل جميع السلع المادية والرمزية دون تمييز" ولقد ركّز بورديو على رأس المال الثقافي أو الرمزي باعتباره قابل للتحوّل إلى رأس المال المادي أو الاقتصادي "وهذه السمة في رأي بورديو عامة في كل المجتمعات البدائية والحديثة على السواء ولا يوجد مجتمع بدونها" وبناءا على ذلك فإن رأس المال الثقافي هو نسق رمزي من يمتلكه فقد امتلك السلطة والسيطرة ولهذا فهو محل صراع وتصادم فإذا كان رأس المال الحقيقي المادي هو الذي يضمن مكانة اجتماعية عالية وتحكما وسيطرة في الموارد وقوة في العمل وتأثيرا سياسيا، فإن نفس هذه الآثار يحدثها رأس المال الرمزي أو الثقافي.

إعادة الإنتاج يعني بورديو بإعادة الإنتاج انتقال رأس المال الثقافي من الأصول إلى الفروع ومن الآباء بهدف استمرار وجود الطبقة السائدة في المجتمع التي تمارس العنف الثقافي أو الرمزي، ويظهر هذا الأخير عموما في مجال التربية من خلال مؤسساتها بما في ذلك الأسرة والمدرسة، وهناك مظهر لنتائج العنف الثقافي الممارَس من قِبل القوى المسيطرة في المجال التربوي "يتمثل في تنوع المدارس في المجتمع الواحد واختلاف مستوياتها باختلاف الأصول الطبقية للطلاب الداخلين إليها وأبناء الطبقات العليا هم الذين يحتلون مدارس ذات نوعية ومستوى أرقى"

2. النظرية التأويلية الرمزية:

من أهم رواد هذه النظرية نجد كليفورد غيرتز 1926 Clifford Geertz-2006 وهو أنثروبولوجي أمريكي، عارض الاتجاه البنيوي في دراسة الرموز واهتم برؤية المبحوثين ووجهة نظرهم كجزء من العمل الأنثروبولوجي جمع غيرتز دراساته حول مجتمعات متعددة كالمغرب وأندونيسيا في كتابه "تأويل الثقافات" حيث يؤكد أن الثقافة هي نسق من الرموز القابلة للتأويل وأشار أيضا أن الرموز من حيث هي حاملات للمعنى فهي تتحد معا كي تؤلف نصوص ثقافية ويؤكد غيرتز أن سوء فهم الثقافة يرجع إلى الاتجاهات التي تنظر إليها على أنها نمط من المعاني المتضمنة في الرموز المتداولة تاريخيا وهي نسق من التصورات التي يعبّر عنها في أشكال رمزية من خلالها ينمي الناس معرفتهم بالحياة واتجاهاتهم نحوها وبهذا فإن غيرتز يجعل كل الظواهر مؤسسة على الرمز فالدين على سبيل المثال هو نسق ثقافي مؤسس على الرموز المقدسة، والإيديولوجيا نسق من الرموز المتفاعلة والمتداخلة والتي يؤلف نموذجا للفعل السياسي سواء لدى المؤسسات الحكومية أو لدى الأفراد ويركز على المنهج الإثنوغرافي المكثف: إن النظرية التأويلية الرمزية تهتم في دراستها بالمنهج الإثنوغرافي المكثف الذي يحدّده غيرتز في أربعة خصائص:

1 التأويل 2 أن ما يؤوله أو يفسره هو سياق الخطاب الاجتماعي 3التأويل يتضمن محاولة تأمين أو حماية ما يقال في مثل هذا الخطاب الاجتماعي من المواقف أو الظروف التي يمكن أن تمحوه وذلك من خلال تثبيته في حدود كلمات أو مصطلحات يمكن تتبعها 4إن مثل هذه الوصف يكون محليا ومكثفا ومن منظور تفصيلي دقيق أو يسعى إلى الوصول إلى أدقّ التفاصيل .

نظرية الاتصال الثقافي التثاقف والمثاقفة:

احتّلت مسألة تعريف كلمة التثاقف المثاقفة ، وتحديد نطاق العمل الذي تنطبق عليه مكان الصدارة منذ عام 1935 حيث يعني أنّ التثاقف المثاقفة هو تأثر الثقافات بعضها ببعض نتيجة الاتصال بين الشعوب والمجتمعات مهما كانت طبيعة هذا الاتصال وأهدافه وإن كانت معظم دراسات الاتصال الثقافي ركّزت بالدرجة الأولى على نوع معيّن من عمليات التغيير وهو التغيير الاجتماعي وانعكاس ذلك التغير على الثقافة وقد تمّ اللجوء إلى الطرق المقرّرة التي استطاع علماء الأنثروبولوجيا بوساطتها النفاذ إلى العناصر الثقافية الكامنة تحت الأشكال الثقافية لكي تزوّدهم بأساس لتقريب السياسة التي ستضع إدارة شؤون الهنود في أيدي الهنود أنفسهم وعهد للمكتب الخاص بالهنود إلى علماء الأنثروبولوجيا المحترفين الذين قاموا بتغطية الدراسات الاقتصادية والسياسية التي يهتمّ بها الحاكم بالدرجة الأولى وميادين الدين والفن والقيم وبنيان الشخصيّة ونظم التربية وأنماط الضبط الاجتماعي الأخرى.

- في أوروبا: ففي إنكلترا، ركّز معظم الباحثين جلّ اهتماماتهم على دراسة عمليات التواصل الثقافي التثاقف عند الشعوب الأفريقية وما أحدثه من تغيير ثقافي وفي هذا الإطار، دعمت دراسات هرسكوفيتز

1895 Melville Jean Herskovits-1963 فكرة النسبية الثقافية، حيث تساءل: كيف يمكن أن نطلق أحكاماً تقييميّة على الثقافة البدائية، تلك الثقافة التي لا تعرف الكتابة؟ وأنّ كل فرد ينتمي إلى هذه الثقافة، يفسّر الحياة الإنسانية في حدود ثقافته الخاصة؟ ولذلك فمن الخطأ أن تسعى الثقافة الغربية الأمريكية أو الأوروبية لإطلاق أحكام مسبقة على الثقافات الأخرى، وتتخذ من هذه الأحكام مبرّارً أساسيّاً للممارسات الاستعمارية، على أهل تلك الثقافات وكذلك الحال في فرنسا حيث اتخذ العديد من الباحثين الفرنسيين مواقف مشابهة لموقف هرسكوفتز في دعم تبنّي مفهوم النسبية الثقافية ومناهضة النزعة الاستعمارية، التي تنظر إلى التثاقف على أنّه عملية تقوم على أساس من السيطرة، ورفضوا بالتالي الفوارق التثاقفية والاستعلاء الغربي على الشعوب الأخرى وفي هذا الاتجاه الفرنسي التحرّري، كتب جيرار لكلرك: إنّ الاستعمار قد أتاح للأنثروبولوجيا شروط عمل وتسهيلات لم تتح للباحثين من قبل، وبذلك أسهم التقدّم الحاصل في العلوم الإنسانية في نشر فكرة تجدّد العلوم الإنسانية الفرنسية. فالإنسانية لم تعد مميّزة بتبعيتها للزمان، بل بتنوّعها المكاني على مرّ الزمن، وبتعدد المدنيات التي لا يحقّ لواحدة منها أن تكون الوحيدة أو الفريدة. ولذلك، يجب أن نتناول حالة الثقافة النسبية، تلك المدرسة التي تعتبر نفسها بالأساس، محصّلة طبيعيّة لنتائج علم الأنثروبولوجيا.

وإذا كان مفهوم النسبية الثقافية عكس اتجاهاً أيديولوجياً خاصاً وارتبط بمرحلة تاريخية معيّنة، فإن الظروف التي ارفقته، تغيّرت بعد الحرب العالمية الثانية، حيث بدأت الشعوب في المجتمعات المستعمَرة تنال استقلالها وتقرّر مصيرها بنفسها ولم تعد بحاجة إلى دفاع الأنثروبولوجيين للدفاع عنها وإثبات وجودها في إطار النسبية الثقافية ولذلك كان من الضروري إيجاد فكر انثروبولوجي جديد ينسجم مع هذه المستجدّات الاجتماعية والسياسية والثقافية فكان أن تخلى عدد من الأنثروبولوجيين عن النسبية الثقافية، واتجهوا مرة أخرى إلى إحياء الفكرة التطوّرية، تحت اسم النظرية التطوّرية الجديدة.

النظرية التطوّرية الجديدة:

ظهر في نهاية النصف الأول وبداية النصف الثاني من القرن العشرين، عدد من الأنثروبولوجيين الذين بدأوا يضعون نظرية خاصة لدراسة المجتمعات الإنسانية ومراحل تطوّرها وموقع التغيير الثقافي في ذلك وكان من أبرز هؤلاء عالم الآثار الإنكليزي جوردن تشايلد Vere Gordon Childe 1892 -1957 والأميريكيان جوليان ستيوارد JulianHaynes Steward 1902-1972 وليزلي هوايت Leslie White 1900-1975الذي دعا إلى عدم استخدام النظم الأوروبية كأساس لقياس التطوّر وضرورة إيجاد محكّات أخرى يمكن قياسها وتقليل الأحكام التقديرية بشأنها أكّد هوايت في كتابه علم الثقافة المنشور عام 1949، أنّ من المهمّ ألاّ تقتصر النظرية التطوريّة على تحديد مراحل معيّنة لتسلسل النمو الثقافي، وإنّما لا بدّ من إبراز العامل أوالعوامل التي تحدّد هذا التطوّر ويمثّل عامل " الطاقة " في رأيه المحك الرئيس لتقدّم الشعوب أي أنّ المضمون التكنولوجي في ثقافة ما يحدّد كيانها الاجتماعي واتجاهاتها الأيديولوجية.

النظرية الماركسية:

تعدّ النظرية المادية التاريخية الركيزة الأساسية للفكر الماركسي ولكنّها لم تجد طريقها إلى الفكر الغربي إلاّ بعد انتصار الثورة الاشتراكية في روسيا عام 1917 حيث بدأت أعمال فلاديمير لينين قائد هذه الثورة تترجم إلى اللغات الأوروبية الرئيسية وهذا ما أدّى إلى النهوض الثوري في العديد من البلدان الأوروبية ومن ثمّ تأسيس الأحزاب الشيوعية ردّاً على الفكر الفاشي الألماني والإيطالي من جهة وإيجاد الحلول للأزمة الاقتصادية

العالمية التي خلقتها الرأسمالية – آنذاك – من جهة أخرى لقد وجّه الأنثروبولوجيون المعاصرون اهتمامهم إلى دراسة التباين القائم بين نظرية ماركس عن المادية التاريخية ونظرية المادية الثقافية التي وضعها الأنثروبولوجي الأمريكي المعاصر مارفيل هاريس 1927 Marvin Harris-2001 فالماركسيون الحديثون يتفقون مع دعاة نظرية المادية الثقافية على أنّ الأوضاع المادية للحياة الإنسانية لها الأولوية في الدراسات الأنثروبولوجية وتتفوّق في أهميّتها على النظم الاجتماعية والأنساق الفكرية والمعتقداتية.

أنثروبولوجيا التجزئة:

أيضا بالأنثروبولوجيا الانقسامية نسبة إلى التحليل الانقسامي الذي يتصف بتحليله للمجتمع، ويعتبر إميل دوركايم E.Durkeim أول من استعمل مفهوم الانقسامية لدراسة المجتمعات وتطورها، وذلك في كتابه "تقسيم العمل الاجتماعي"De la division social 1893 والفكرة الرئيسية للكتاب تتمحور حول أن المجتمعات تنتقل تدريجيا عبر التطور التاريخي من شكل التضامن الآلي إلى أشكال التضامن العضوي بمعنى آخر: من تضامن يؤسسه التشابه بين العناصر المكونة للمجتمع إلى تضامن يفرضه الاختلاف والتكامل، إن أشكال التضامن العضوي هي التي تسود في أوروبا المعاصرة، أما مجتمعات التي يسود فيها التضامن الآلي فهي ما يمثله نظريا العشيرة البدائية ومما هو جدير بالذكر أن العشيرة البدائية تبقى نظريا وليس ما يثبتها واقعيا وكذلك تاريخيا لأن يوجد الكثير من المجتمعات تتكون من مجموعات ولكنها تتصف بنفس الخصائص وكل مجموعة فيها عشائر لذلك تم التحدث عن مجتمع انقسامي فبالنسبة للتجزئة الاجتماعية؛ فقد اهتمت بد ارسة الدواوير والمداشر باعتبارها وحدات صغيرة أنثروبولوجية، والنظرة الأعمق باعتبارها قبائل وعشائر وهذا ما قام به الاستعمار من تجزئة أيضا ثقافية تحت قاعدة فرق تسد بخلق التشتت بين القبائل أمازيغ، توارق، شاوية، عرب، وغيرها، وكذا رؤية البربر بأنهم ذوي أصول أوروبية لضربهم بعرق العرب والصراع بينهم لخدمة أهداف الاستعمار، بالإضافة إلى دراسة القرى كما فعل إلفريد بل وإن كان دراسته علمية إلا أن الاستعمار قد استغلها وغيرهم من الأنثربولوجيون أما من الناحية الدينية فقد جرى تجزئة إلى الدين الإسلامي إلى دين شعبي موالي للاستعمار، وبدأت البدع والخرافات تنتشر دون نسيان السحر والشعوذة بتوظيف فقهاء تقليدين يزرعون ذلك في المجتمعات الجزائري التجزئة السياسية تجسدت من خلال إيجاد وسيط بين السلطة الاستعمارية وفئات الشعب الجزائري وهم قياد أو بشاوات لخدمة مصلحتهم كذلك كان لهذه التجزئة أثر منهجي وآخر نظري فالأثر المنهجي وهو بروز المركزية الاستعمارية ومقابلتها على اعتبار الشعوب المستعمرة شعوب بدائية، وتميز بالثنائيات. 1المعارضة بين العصري وما قبل العصري: المجتمعات المغاربية تعيش في تخلف أو فيما قبل الحداثة، بينما المجتمعات الأوروبية تعيش الحداثة 2المعارضة بين الاقطاعية والرإسمالية: المجتمعات المغاربية تعيش في ظل نظام إقطاعي، في حين الأوروبية تعيش الرأسمالية 3المعارضة بين اللاصناعة والصناعة: المجتمعات المغاربية هي غير مصنعة، أما الأوروبية هي مجتمعات مصنعة 4المعارضة بين الأسطوري والعلمي: قفي نظر المستعمر أن الشعوب المستعمَرة نسق فكرها أساسه الخرافة والأسطورة على عكس المجتمعات الأوروبية التي يمتاز فكرها بالمنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجريب .

وتكملة لذلك تأسس الأثر النظري؛ والذي يَعتبر المجتمعات المغاربية والمجتمع الجزائري خاصة بأنها لا تفكر،مما يستدعي الهيمنة عليها والسيطرة عليها بمعرفة طريق عيشها وجوانب اجتماعية وثقافية، ليأت دور الأنثروبولوجيا لتقوم بهذه المهمة في حد بعيد لتسهيل العملية الاستعمارية، لكن ما طال الزمن للأنثروبولوجيا أن تفطنت لهذه الإيديولوجيا الاستعمارية لتتأسس أنثروبولوجيا القطيعة .

7.أنثروبولوجيا القطيعة:

ظهرت أنثروبولوجيا القطيعة كاتجاه ضد الأنثروبولوجيا الانقسامية في كل مبادئها لأنها اكتشفت أن المجتمع الجزائري هو مجتمع لا يمكن تطبيق عليه الانقسامية القبلية وهوليس بمعزل عن الحداثة وعن التفكير، وقد مثله أنثروبولوجيون أمثال: جاك بيرك J.Berqueوبيار بورديو P.Bourdieu وجرمين تليونG.Tillion وغيرهم أهم أساس لأنثروبولوجيا القطيعة هي دراسة المجتمع المغاربي والجزائري بالأخص بطريقة حيادية دون الحكم عليه وكذا نفي تبعيته للاستعمار،حيث يقول "جين موزيه"J.Mouzet في كتابه" L'Algerie Kabylisée": "الجزائر البدوية التي كانت فيما سبق قوية جدا لم تعد موجودة، أو على الأقل لم تعد لها أي أهمية، الجزائر الآن حضرية بنسبة 95%، التصنيف القديم بين البدو والحضر لم تعد له أية أهمية أيضا تماما مثل التصنيف الجزائر التقليدية والجزائر المتطورة، في الواقع من الظاهر أن الجزائر التي يقال عنها تقليدية هي التي تغيرت بها ظروف العيش أكثر وعكس ذلك الجزائر الذي يقال عنها متطورة هي التي ينبعث فيها الماضي بكل قوة في بعض الأحيان"من هذا القول يتبين لنا أن نظرة المفكر في أنثروبولوجيا القطيعة ركزت على الازدواجية المتداخلة بين التقاليد والحداثة وأن المجتمع رغم حالة الاستعمار التي يعشها هو في حالة من الحداثة تتضمن في كنف التقاليد والتي تظهر في النظرة السابقة أنها ضعيفة إلا أنها قوية من هنا جاءت الدراسات الأنثروبولوجية لتركز على مواضيع الدالة على قوة التقاليد مثل: أهمية الشرف عند القبائل، الكرامة، التضامن القبلي، المرأة ومكانتها، هذه القيم كلها تساهم في خلق الانسجام داخل الجماعات والقبائل وتعبر عن الثقافة والحياة الاجتماعية .

منهج البحث والتقنيات في الأنثروبولوجيا.

حين نتكلم عن النظريات في المنهجيات، فإننا نتطرق في الجانب المنهجي باعتباره تعد المقاربة التي نقارب الموضوع الأنثروبولوجي من خلالها، ومما يجدر بالذكر أن هذه المقاربات يتقاسمها علم الاجتماع مع الأنثروبولوجيا، ولهذا لا ضير إذا وجدنا فيها نفحات سوسيولوجية .

- **الإثنية المنهجية:**

أو ما تعرف بالإثنوميتودولوجيا حيث يتصف هذا الاتجاه مثل غيره من الاتجاهات الظاهراتية بموقفه النقدي والرافض للاتجاه الوضعي في علم الاجتماع، وقد ظهر هذا المصطلحالاثنوميثودولوجيا في عام 1967م حينما نشر العالم الأمريكي هارولد جارفنكل، كتابه بعنوان: "دراسات في الاثنوميثودولوجيا" حيث صاغ جارفنكل مصطلح الاثنوميثودولوجي متأثِّرًا بالفلسفة الظاهراتية) فلسفة الظواهر ومن ثم فقد نهض المنظور الاثنوميثودولوجي على أسس فلسفية وعلى مستوى من التنظير يوصف بأنه ما وارء النظرية.

يشير مصطلح الإثنية المنهجية إلى المناهج الشعبية أو الطرق التي تستخدمها الجماعة في صياغة و تشكيل الحقيقة الاجتماعية في حياتهم اليومية، لذلك يرى الباحث ضرورة توضيح المناهج المستخدمة في الدراسات الاثنوميثودولوجية وفي هذا الصدد نجد أن جارد فنكل وزملاءه من الباحثين قد قاموا بإجراء بعض الدراسات الامبيريقية التي تكشف عن المناهج المختلفة التي يمكن أن يستعين بها الباحث الاثنوميثودولوجي لكي ينفذ إلى مواقف الحياة اليومية و يتعرف على أفكار و قواعد سلوك المبحوث .

ولكي يتعرف الباحث الاثنوميثودولوجي على أفكار وقواعد سلوك المبحوث دون أي تدخل من طرق الباحث، يرى أصحاب هذا المنظور أنه يمكن استخدام طريقة الملاحظة بالمشاركة، كما يستخدمها أصحاب منظور التفاعلية الرمزية، وذلك بالإضافة إلى استخدام بعض المناهج مثل ذلك المنهج شبه التجريبي الذي يطلق عليه التجربة الاثنوميثودولوجية والمنهج الآخر الذي يطلق عليه جارفنكل المنهج التوثيقي وهو المنهج

الذي يستخدمه كل من الباحث والأفراد العاديين في تفسير سلوكهم أثناء تفاعلهم في المواقف المختلفة للحياة اليومية، وهذه المناهج التي يستخدمها المنظور الاثنوميثودولوجي في دراساته تشير إلى أنه يعتبر متحيزاً للأسلوب الكيفي.

- **الوظيفية:**

وكما أشرنا إلى ذلك الوظيفية رائدها إيميل دوركايم، تركز في منهجيتها على الجانب الواقعي الظاهري دون الغوص في الجانب التطوري، ولهذا فهي تستخدم الملاحظة وكذلك الملاحظة بالمشاركة، وتركز على علاقة الظاهرة الثقافية بالظواهر المختلفة عنها في المجتمع، ولهذا فهي لا تستبعد الجانب الكمي في دراسة الظاهرة، لأن تحاكي بذلك علوم الطبيعة في اليقين .

- **البنيوية:**

كتبسيط للبنيوية هي الدراسة العلمية لبنية الظاهرة، وقد ظهرت البنيوية انطلاقا من أزمة اليقين التي طالت العلوم الاجتماعية جراء تطبيق المناهج الكمية وجراء التغيرات السريعة التي طرأت على الظواهر .

ولهذا أنشئ المنهج البنيوي لدراسة البنية: أي الشيء الثابت في الظاهرة، واستبعاد التغير والتاريخ في الظاهرة، ولهذا في المنهج البنيوي نركز على الظواهر المرتبطة باللغة، بعلاقات القرابة، بالقبيلة، ولهذا نتعمق في الظاهرة للوصول إلى البنية .

الميادين الكبرى للانثروبولوجيا

وتتعدد فروع الأنثروبولوجا وفقا للتطورات والتغيرات التي تتضمنها وتشملها - دراستها للانسان وتطوره من الجوانب الطبيعية النفسية والثقافية الاجتماعية السياسية والحضارية.

فالأنثروبولوجيا الطبيعية هي فرع من علم الإنسان المختص بدراسة اليات التطور البيولوجي والقدرة على التكيف وتنوع الأعراق عند البشر المعاصرين والرئيسيات العليا والسجل الأحفوري لتطور البشر.وقد أدى اهتمام العلماء الأنثروبولوجين بدراسة التباين بين الشخصيات 2 الثقافات المختلفة إلى ظهور فرع متخصص يعرف بالأنثروبولوجا النفسية أو الثقافة والشخصية، وموضوع الأنثروبولوجيا النفسية، يتحدد في العلاقة بين الثقافة والشخصية.

الأنثروبولوجا الثقافية هي فرع آخر من فروع الأنثروبولوجا، تقوم بدراسة الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معينة، والأنثروبولوجا الثقافية تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس الشعوب المعاصرة. كما انها تهدف إلى فهم الظاهرة الثقافية و تحديد عناصرها، ودراسة عمليات التغيير والتمازج الثقاف والمقارنة بين الثقافات، وتفسير المراحل التطورية لثقافة ما في مجتمع ما.

الأنثروبولوجا الاجتماعية هي الدراسة التكاملية المقارنة القائمة على ملاحظة السلوك الإنساني في مضمونه الاجتماعي، وهي دراسة تكاملية لأنها تتبنى المنهج الكلي، وهي دراسة مقارنة بمعنى انها تدرس النظام القرابي أو الاقتصادي - مجتمع معين، ثم تقارن بين هذا النظام ونظيره في مجتمع آخر وتهتم الأنثروبولوجا الاجتماعية بمجال محدد من مجالات العلوم الاجتماعية وهو دراسة مجموع البناء الاجتماعي لأي جماعة أو مجتمع، بما يحويه هذا البناء من علاقات وجماعات وتنظيمات.

الانثربولوجيا الحضارية دراستها الإنسان في نطاق منظومته الحضارية، تعالج تباين سلوكه ونشاطه اليومي على ضوء تباين ظروفه الموضوعية المحددة لأدواره في المجتمع، فقد كان الإنسان يصارع البيئة من اجل البقاء فكان تفكيره لذاته، ولكن بعد سلسلة من الفرات الارتقاء التي تتخلل بالإبداع والانتقال إلى الأفضل

بفعل مجهوده الفكري ومهاراته المتراكمة ومتعته في ممارسة ما يتقن ويحسن عمله، انطلق من معطيات خلقية لبناء حضارة لتفيد تنظيماته الاجتماعية وهكذا أصبح الإنسان لا هذه الخطوة يفكر ويبني اجتماعيا وهذا هو سر العلاقة بين الحضارة والمجتمع.

الأنتروبولوجيا الاقتصادية تتناول دراسة مجموعة من الموضوعات الأنثروبولوجية من وجهة نظر علم الاقتصاد. لقد ساهم علم الإنسان مساهمة فعالة في إثراء علم الاقتصاد بما قدمه من دراسات عن المجتمعات البدائية والبسيطة والمنعزلة، وقد حلل علماء الإنسان وفسروا النظم الاقتصادية لتلك المجتمعات وفقاً لثقافة تلك الجماعات وتتبع تاريخها وتطورها وأنواعها المختلفة، وعلاقة تلك النظم الاقتصادية المباشرة وغير المباشرة ببقية الأنظمة الأخرى في تلك المجتمعات.

الأنثروبولوجيا السياسية تتناول دراسة اثر المتغيرات الاجتماعية الحضارية في تشكيل بنية السلطة السياسية، وتطور انظمة الحكم في المجتمع، و الأنثروبولوجيا السياسية هي دراسة الجوانب الاجتماعية والسياسية للمجتمع وصلاتها مع القضايا أخرى مثل مسالة السلطة، ومصدرها ودورها في المجتمع، أيضا تبحث في العلاقة بين الأفراد داخل المجتمع، وتوزيع السلطة، وتبحث في الطرق التي يستخدمها الأفراد لا الحصول على السلطة ونوع ومدى سيطرة أولئك الذين يملكون السلطة على المجتمع.

الأنثروبولوجيا الاجتماعية:

الأنثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بمجال محدد من مجالات العلوم الاجتماعية وهو دراسة النظم الاجتماعية ووظائف هذه النظم في إطار البناء الاجتماعي للمجتمع، والواقع أن كثرة الدراسات والبحوث في هذا المجال، قد انصبت في البداية على المجتمعات البدائية ، ولذلك سادت تسمية هذا العلم ووصفه بأنه (علم اجتماع المجتمعات البدائية). ومع ذلك فإن تراكم هذه البحوث وتنوعها ، ساعدنا على إجراء بعض المقارنات بين عدد قليل من المجتمعات البسيطة أو البدائية، ثم بينها وبين المجتمعات الحديثة (الحضرية والصناعية)، مما أدى في النهاية إلى الوصول إلى مبادئ عامة تفسر الحياة الاجتماعية ويذهب العديد من المهتمين بالأنثروبولوجيا وفروعها المعرفية المتنوعة إلى القول بأن الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي مرادف علم الاجتماع في الدول الأنجلوسكسونية.

وإذا كانت المجتمعات البدائية هي الموضوع الذي اتفق حوله الرواد الأوائل للأنثروبولوجيا وسلطوا الضوء عليه من خلال العديد من الدراسات والبحوث فهذا يرجع إلى النزعة المركزية الأوروبية التي كان هؤلاء الرواد يتصفون بها ورغبتهم في الاتخاذ من نمط الحياة الاجتماعية الأوروبية نموذجا للقياس بها والمقارنة مع باقي الشعوب ومنها ما أطلق عليه اسم الشعوب البدائية.

مرت الأنثروبولوجيا الاجتماعية بمراحل تاريخية أهمها مرحلة القرن18، وهذه المرحلة مهدت لظهورها واستفادت من بعض دراسات المفكرين الغربيين أمثال المفكر الفرنسي مونتسيكيو في كتابه روح القوانين حيث أشار إلى أن المجتمع ونظمه الاجتماعية ترتبط بعضها ارتباطا وثيقا ويؤثر بعضها في البعض الآخر ولا يمكن فهم أي نوع من القوانين إلا في ضوء دراستنا للعلاقات القائمة بين القوانين المختلفة مثل القانون الدولي، والقانون الدستوري، والقانون الجنائي، والقانون المدني كما أنها جميعا مرتبطة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية في مجتمع معين ونفس الفكرة والمتمثلة في تلاحم كل من العمران البشري منظمه ومؤسساته المختلفة ز أشار إليها العديد من المفكرين العرب مثل ابن خلدون، المقريزي.

واستفاد التراث الأنثروبولوجي من المفكر سان سيمون الذي يعد أول من فكر بضرورة إنشاء علم يدرس المجتمع يقوم على العلاقات الاجتماعية، كما نبه إلى ضرورة دراسة الوقائع والحقائق كما هي وليس التصورات عنها، وأسهم في ظهور الأنثروبولوجيا في هذا القرن كل من دافيد هيوم و أدم سميث حيث نظر إلى المجتمع على أساس أنه نسق طبيعي. بعد القرن 19 نشأت الأنثروبولوجيا الاجتماعية حيث صدرت مجموعة كبيرة من الكتب المهمة في هذا القرن حددت إلى حد كبير معالم الموضوع الأساسي للدراسة نشير هنا إلى أهمها:
القانون القديم لهنري ماين والثقافة البدائية لإدوارد تايلور والزواج البدائي لماكلينا ن والمدينة العتيقة فوستيل دي كولانج

وقد كانت هذه الكتب لهؤلاء العلماء لم تصدر من تخصصاتهم وذلك نظرا لعدم ظهور تخصص الأنثروبولوجيا الاجتماعية بعد وأهم ما يميز القرن 19 ظهور اتجاه جديد في
الدراسة وهو تفسير الظواهر الاجتماعية والنظم الاجتماعية من زاوية جديدة لم تكن معروفة من قبل هذه الزاوية هي التفسير الاجتماعي
سموا علماء هذا القرن بعلماء المقاعد الوثيرة نظرا لعدم قيامهم بدراسة ميدانية واعتمادهم على أقوال الرحالة ورجال الإدارة من المستعمرين الأوروبيين، لانها تميزت هذه الفترة بظهور المدرسة النشوئية أوالتطورية وكان يبحث أصحابها عن نشأة وتطور النظم الاجتماعية كالأسرة والدين، وقد أثارت نتائج الدراسات التي قام بها أصحاب هذه المدرسة الكثير من التعليقات من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية اللاحقين وذلك بسبب صعوبة دراسة الأصول والبدايات الأولى ثم توجهوا الى البحث عن وظيفة النظم الاجتماعية والأدوار التي تقوم بها وتأثيرها في البناء الاجتماعي وكان التقليد السائد أن تسمى الأنثروبولوجيا الاجتماعية بوصفها علم الاجتماع المقارن والتعبير يتفق عليه بالإجماع "راد كليف براون و مالينوفسكي" ونحن مصيبون عندما تفكر من خلال الأنثروبولوجيا الاجتماعية على أنها شكل مقارن للتفسير الاجتماعي، لأن البحث في المجتمع البدائي والحديث على حر سواء، هو بحث في المجال المجتمعي السوسولوجي لكن لفظة أنثروبولوجيا مستمدة في الأساس من أنثروبوس وهو الاسم الذي يحيلنا مباشرة إلى مجال مختلف على الإطلاق عن المجتمع أي إنسان، الفرد نقيض المجتمع. وهذا يبين أن الأنثروبولوجيا قد استطاعت أن تجعل كلا من الفرد – العنصر والمجتمع موضوعا لها دون أي إشكال، عكس علم الاجتماع الذي ينطلق من أكبر وحدة تركيبية من الأفراد وتجمعهم وهي المجتمع.
<u>علم الأنثروبولوجيا و القرابة:</u> (مجال من مجالات الأنثروبولوجيا الإجتماعية)

كل المجتمعات الانسانية و بدرجات متفاوتة محكومة بالقرابة التي تشكل مجموعة النسل ، و الإرث و الطقوس و الادوار ، و بنسب مختلفة ، سواء تلك التي يمثل فيها نظام القرابة تعقيدا أقل حضورا كما هو الحال في المجتمعات الغربية ، أو تلك المجتمعات التي تميل للاعتماد على نظام القرابة بشكل كثيف لتحديد و توزيع الادوار الإجتماعية ، و الإقتصادية لأفرادها كما هو الحال في المجتمعات الشرقية بشكل عام ، فنظام القرابة يمكننا من فهم أوسع لطبيعة المجتمع الذي تتم دراسته من خلال هذه الأنظمة الإجتماعية ، و الغريب في الأمر أن نظام القرابة هو في أساسه عملية عقلية ، و ليس تطبيقية أو منهجية تسير على أسس عالمية ثابتة ،
فالناس ينظرون لنظامهم القرابي و العائلي بتداخلات فلسفية و دينية و إجتماعية ، و هذا ما يسبب اختلاف النظرات و الاعتبارات الفكرية و الإجتماعية لهذا النظام ، فبالرغم من أن أنظمة القرابة تعتمد بشكل أساسي

على العلاقة البيولوجية ، فإنها ظاهرة اجتماعية و ثقافية ، و بما أن الانظمة القرابية هي خلق اجتماعي فهناك عدة طرق للنظر للمصاهرة و قرابة الدم و تصنيفها حسب المجتمعات المختلفة ، كما أن هناك اختلافات في أنواع الجماعات الاجتماعية المكونة من خلال القرابة ، و يؤكد الباحثون مدى تعقيد نظام القرابة ، و في مقدمتهم مردوك الذي درس مختلف المجتمعات البشرية متناولا عينة مكونة من 254 جماعة اجتماعية مختلفة وجد فيها جميعا مؤسسة العائلة ، و من المعروف أن هذه العائلة تشترك مع العائلة الحيوانية بقضايا أساسية مثل الجماع و الجنس و الانجاب و الموت ، فنسق القرابة ينطوي على الحياة بكل أبعادها ، مما يعقد وظيفة القرابة . فشكل الأسرة هو أهم العناصر التي تحدد علاقة الاب و الابناء ، و الأحفاد و الاخوة و الاخوات ، و كذلك يربط الزواج أشكالا اخرى من القرابة تربط الزواج بأصهاره ، و الأبناء بأسر الأب و الأم ، و لهذا يوجد نوعان أساسيان من أنواع القرابة ؛ أولهما القرابة الدموية ، سواء بالقرابة المباشرة الدموية أو الاعتبارية بالتبني ، و ثانيهما القرابة التصاهرية التي تحدد بناء على نوع الاسرة السائد من حيث خط النسب الذي يوضح التسلسل القرابي ، و قد توصل الانثروبولوجيين الى تعريف ستة أنواع من الأنظمة القرابية التي هي كالتالي : نظام الهاواي ، نظام الإسكيمو ، نظام الاوماها ، نظام الاروكيس ، نظام كرو و النظام السوداني (النظام الإفريقي) ، و تقوم القرابة بدورها في المجتمع باعتبارها عاملا منظما لسلوك أفراده بعضهم تجاه بعض ، و محركا للعلاقات الإجتماعية و الإقتصادية و السياسية ، فقد إهتم الصينيون و اليابانيون بحفظ أنساب آبائهم و أجدادهم حتى وصل الامر بهم إلى عبادة الأسلاف ، و يصور بعض القدماء أهمية النسب بقوله " هو سبب التعارف و سلم التواصل به تتعاطف الارحام الواشجة و عليه تحافظ الاواصر القريبة " قال تعالى " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى ، و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا " ، فمن لم يعرف النسب لم يعرف الناس ، و من لم يعرف الناس لم يعد من الناس ، و لهذا جعل التشريع الإسلامي القرابة أو النسب من الضرورات الخمس التي يجب صيانتها ، لقد كانت القرابة أو النسب من أهم المكونات للثقافة العربية لارتباطها بالتنظيم الإجتماعي القبلي للمميز للجماعات العربية القديمة ولا يزال هذا المكون سائدا في المجتمعات العربية القديمة و الحديثة ، و يقول أحد الباحثين المحدثين " كان العلم بالانساب بمثابة السياج لافراد القبيلة لأن الوطن لم يكن محدودا تحت أرجلهم ، بقدر ما كانت القبيلة محدودة في حسابهم و من أجل ذلك تعلقوا بالمحدود و صرفوا شيئا عن غير المحدود".

القرابة كموضوع للأنثروبولوجيا

كل المجتمعات البشرية دون استثناء كانت و بدرجات متفاوتة محكومة بالقرابة و مجموعات النسل أو الإقامة التي تتشكل بفعل القرابة تنتج بدورها تضامنا متعدد الوظائف يحدد الزواج و الإرث و الطقوس و حل النزاعات ، و يحاول الانثروبولوجيين فهم أنساق القرابة التي تتواجد في المجتمعات و الثقافات المختلفة ، شرط أن تكون هذه المعرفة من داخل المجتمع نفسه ، و لذلك فهم يهتمون بدراسة النظم القرابية لأنها تكشف عن العلاقات الإجتماعية التي يتدرج الشخص من خلالها طوال حياته ، كما توضح طريقة انتقال المراكز و الملكية من جيل إلى الجيل التالي و تعمل القرابة في بعض المجتمعات على تكوين جماعات إجتماعية لها قوة التأثير في الحياة الإجتماعية .

بعد أن قرر كلود ليفي ستراوس أن علماء اللسان و علماء الاجتماع لا يطبقون مناهج واحدة فحسب ، بل يتصدون لدراسة الموضوع نفسه يمر الى المطالبة بضرورة اعتبار قواعد الزواج و منظومات القرابة كنوع من

اللغة أي مجموعة من العمليات ، فالأنثروبولوجي سيجتهد في تبيان كيف يتواصل الافراد و المجموعات مع بعضهم البعض ، و عليه سوف يكتشف حسب كلود ليفي ستراوس في التواصل و التبادل مفهوما موحدا قادرا على تقديم أجل الخدمات للأنثروبولوجيا الإجتماعية في بحثها اللاهث وراء الثوابت ، إذ يدقق ك.ل ستراوس حقول هذا التواصل يتعرف على مستويات ثلاثة للآلية ، إذ يتوفر الاول على تنظيم تبادل الخيرات و الخدمات بينما يتصدى الثاني إلى عقلنة تبادل الرسائل و المعاني ، أما الثالث فيضبط تبادل النساء و تداولهن ، و عليه يذهب ك.ل ستراوس إلى الجزم بأنه دراسة نظام القرابة أو نطام اللسان لا تخلوا من تماثل بنيوي ، فالبحث في علاقات القرابة قد بدأ منذ اليوم الذي أصدر فيه لويس هنري مورغان كتابه الموسوم بأنظمة قرابة العصبية و النسب للأسرة البشرية سنة 1871 ، و لقد تلقف كل من مارسيل موس و رادكليف براون و برونيسلاو مالينوفسكي هذا المبحث ليجعلوا منه هم الباحث الانثروبولوجي الاول و مفتاح تعقل المجتمعات المسماة بدائية ، و هو الفعل الذي أكبر كلود ليفي ستراوس، فهؤلاء حسب رأيه قلبوا أوضاع الفكر الأنثروبولوجي عندما استعاضوا عن التفكير التاريخي بآخر ذي طبيعة نفسية – سوسيولوجية قائم على مفهوم المبادلة ، فقد أدرك جميعهم أن علاقات القرابة وسائل اجتماعية معدة للقيام بوظيفة اجتماعية ألا و هي تأمين التوازن الإجتماعي و تأمين التلاحم و التماسك بين أعضاء المجموعة ، و قد تحفظ كلود ليفي ستراوس أمام هذا الموقف و رأى رادكليف براون أظهر الوظيفة فيما ظلت المنظومة مجهولة ، فنظام القرابة لا تحدده و تحكمه محددات الدم بقدر ما يتحدد بنظام المصاهرة الذي يجد جذوره في تحريم زنا المحارم ، إنه نظام يشكل فيه تبادل النساء مكانة أساسية للتحليل البنيوي الستراوسي

العلاقة بين الجنسين :

العلاقات خارج الزواج

لا يمكن للإنسان الهروب من الملزمات البيولوجية التي يمليها عليه الجنس تماما مثل ملزمات بقائه التي تملي عليه الكل بانتظام ، لكن الإنسان ليس كائنا بيولوجيا فقط ، بل هو كائن حضاري أيضا ، هذه الكينونة جعلت العلاقة الجنسية شديدة التعقيد عن العلاقة الجنسية البسيطة بفعل تأثير النظم الإجتماعية و القوانين الدينية و الخلقية التي تسعى باستمرار إلى تنظيم علاقات الجنسين ، و هنا يجب التمييز بين المعاشرة و الزواج ؛ فالعلاقة الأولى بيولوجية بحثة ، بينما الزواج في مجموعة نظام حضاري بحث ، إلا أنه يقوم بإشباع العلاقة البيولوجية و من ثم فهو علاقة أعم من المعاشرة ، و الزواج كنظام هو تجمع لعدد من الأنماط و القوالب الحضارية التي تحدد و تحكم العلاقة بين الرجل و المرأة المتعاشرين و علاقتهما بالأقرباء و الأولاد و العلاقة العامة بالمجتمع.

علاقات الجنسين قبل الزواج

هناك مجتمعات تسمح بعلاقات قبل الزواج أشهرها التروبرياند ، و عند قبيلة الايفوجا و يسمح بالمعاشرة بين الفتيات و الشباب ، فإن الزواج عند بعض البدائيين لا يرتبط إطلاقا بفكرة العفة و العلاقة البيولوجية و الحب الرومانسي كشروط أساسية للزواج ، فإنه لا يوجد شعور بالذنب من المعاشرة قبل الزواج ، و قد تلعب

بعض العوامل مثل العوامل الإقتصادية دورا أساسيا في فرض أشكال مختلفة من العلاقات الجنسية قبل الزواج بين الأغنياء و الفقراء و عند الحكام و أبناء الشعب ، فمن الشائع في بولينيزيا أن هناك قوى روحية معينة عند الأميرات تجعل معاشرتهن ذات تأثير خطير على حياة الشباب من عامة الشعب .

نظام المحارم

يعد نظام المحارم من الأنظمة الحضارية المرتبطة بتقنيات المجتمع ، حيث توجد نصوص في كل الحضارات تحدد المحارم و غالبية المجتمعات تحرم المعاشرة و الزواج بين أعضاء الاسرة الواحدة و عدد من الاقارب كالعم و الخال و العمة و الخالة ، و قد جاء في القرآن " حرمت عليكم أمهاتكم و بناتكم و أخواتكم و عماتكم و خالاتكم ، و بنات الأخ و بنات الأخت و أمهاتكم اللاتي أرضعنكم و أخواتكم من الرضاعة و أمهات نسائكم" و نجد هذه القواعد تختلف و تتسع كثيرا عند مجتمعات نظام القرابة التصنيفي أو الطبقي ، و لهذا فإن كلمة أخت أو أم تختلف تماما في مجتمعات القرابة الوصفية و الطبقية ، ففي الوقت الذي تصبح فيه الاخت الوصفية شخصية محددة نجد الاخت الطبقية تنطبق على عدد كبير و بالتالي يشمل التحريم عدد كبير من البنات ، و في مقابل ذلك نجد بعض المجتمعات تحبذ زواج بنت العم كما هو الحال عند العرب

دور القرابة في الحياة الإجتماعية

• علاقة الأب و الابن

لا تنبني هذه العلاقة على الغريزة و الاعتياد فقط ، بل على أسس اجتماعية حضارية أيضا ، فالأبوة يمكن أن تكون بيولوجية أو اجتماعية فقط و سلطة الاب المعروفة لا تمارس عند كل مجتمع ، و يلاحظ في كثير من المجتمعات البدائية وجود وشائج ، و علاقات قوية بين الابن و الأم أو بين البنت و الأب أكثر من العلاقات المقابلة .

• علاقة الأخوة

يلاحظ وجود علاقة احترام متبادل بين الأخ و أخته خاصة بعد طقوس البلوغ ، حيث نجد تباعدا كبيرا بينهما تجنبا للمحارم ، أما العلاقة بين الاخوة من نفس الجنس فهي علاقة الرفقاء القوية مع احترام كبير للسن .

• علاقة الزوج و الزوجة

غالبا ما تكون العلاقة رسمية لأن الزواج عادة عبارة عن ترتيبات تحدث بين عائلتين ، و نادرا ما يكون نتيجة علاقة عاطفية ، و في المجتمعات التي تسودها التنظيمات العشائرية نجد الترابط القرابي أقوى أحيانا من علاقات الزواج ، و في أحيان اخرى قد تتحول العلاقة الزوجية تدريجيا الى علاقة عداء أو انفصال تام في المأكل و النوم و تقتصر العلاقة على الضروريات فقط .

• علاقة العمومة و الخؤولة

في المجتمعات الابوية نجد العم يعامل معاملة الاب و لا يصبح للخال مثل سلطة الأب ، أما في المجتمعات الأمومية فإن سلطة الخال تتعاظم و تصبح أكبر من سلطة الأب على الأبناء ، و لا يصبح للعم أي سلطة على أبناء أخيه ، و لكن توقير الخال يمكن أن يوجد أيضا في المجتمعات الأمومية النسب ، و في بعض المجتمعات تصبح العلاقة وثيقة بين الخال و أبناء أخته لتبلغ مرحلة الصداقة و المعاونة و تنشأ بين الطرفين علاقة أقرب ما تكون إلى التآخي تنتفي فيها العلاقة الرسمية ، و عند بعض المجتمعات تنشأ علاقة وطيدة بين العمة و أبناء أخيها .

• علاقة الأجداد و الأحفاد

في غالبية المجتمعات نجد علاقات التعاطف و الود و الحماية و المساعدة تميز الارتباطات بين الاجداد و أحفادهم و من الامثلة على وجود هذا التعاطف رغم البعد الزمني أن بعض القبائل تسمي الشمس (الجد) لأنها قديمة و بعيدة لكن أثرها الطيب محسوس في كل مكان ، و كذلك تسمي قبائل الداكوتا من الامريند الوجود الأعظم باسم الجد.

• علاقة أبناء العمومة و الخؤولة

تتحدد هذه العلاقة على أساس تصنيف نمط القرابة السائدة عند المجتمع ، و في الغالب نجد أفراد القرابة المتوازية (أبناء العم و أبناء الخالة) يعاملون معاملة الإخوة و الأخوات ، بينما نجد علاقة متباعدة مع أفراد القرابة المتقاطعة (أبناء العمة و الخال) و أحيانا يمكن الزواج من هؤلاء الافراد .

• العلاقة بين الاحماء و الحموات

هذه العلاقة إلى متغيرات كثيرة تتراوح عند المجتمعات المختلفة بين الاحترام و التبجيل ، و قد قام الأنثروبولوجي الأمريكي أدامسون هوبل بدراسة تحليلية لمئة حالة في أمريكا ، و قد وجد أن 94% من النكت و الملح موجهة ضد الحماة ، و أن ثلثي الرجال يتمنون موت الحماة ، و أن ثلثي الحموات قد أعربت عن علاقة عدوانية تجاه أزواج بناتهن أو زوجات أبنائهن ، كذلك كان 20% من الحالات يرفضون وجود حماتهم معهم و لا شك أن النكت و الملح هي صمام أمان ضد علاقة العداء التي يشعر بها الشخص تجاه حماته .

• الزواج

يهتم الانثروبولوجيون بدراسة نظام الزواج و القرابة ، لأنه يعتبر من الموضوعات الهامة في مجال الدراسات الأنثروبولوجية و أن أي معالجة نظرية لموضوع القرابة تتطلب بالضرورة التعرض لنظام العائلة و الزواج ، و قد حاول الانثروبولوجيين في القرن التاسع أن يتعرفوا على طبيعة النظم الإجتماعية ، كيف نشأت ، و كيف تطورت ، و كيف انتشرت؟ و من أبرز النظريات التي تفسر الزواج ، نجد نظرية باخوفن التي ظهرت في كتابه حق الام ، و نظرية ماكلنان التي ظهرت في كتابه الزواج البدائي ، ثم نظرية لويس مورغان التي ظهرت في كتابه

أنساق روابط الدم والمصاهرة في العائلة الإنسانية ، و قد قام مورغان بإعادة صياغة هذه النظرية في كتابه المجتمع القديم ، و قد تأثرت كل هذه النظريات بالاتجاه التطوري ، فالزواج علاقة تعاقدية أو نظام اجتماعي مشروع بين الرجال و النساء لتنظيم إشباع الغريزة الجنسية بين البالغين ، إنه كما يرى إدوارد وسترمارك يستخدم للتعبير عن وضع إجتماعي ، و يمكن تعريفه بهذا المعنى ؛ رابطة بين رجل أو أكثر بامرأة أو أكثر تعترف بها العادة و القانون ، و ينطوي على حقوق و واجبات معينة في حالتي الطرفين اللذين يدخلان في هذا الإتجاه و ذهب جون إلى أن الزواج هو علاقة اجتماعية منظمة ، و أنه يرتبط بعدد من العلاقات الإجتماعية ، و هو بمثابة وحدة جنسية مشروعة بين رجل و امرأة ، و يعرف الزواج بصيغ القران الشرعي التي يقرها المجتمع ، إذ يحدد بشكل خاص علاقات الزوج و الزوجة .

• أنماط الزواج :

• الزواج الإغترابي

أكثر أنواع الزواج شيوعا ، فالأفراد لا يتزوجون من داخل مجموعتهم ، بل يبحثون عن زوجة خارج هذه المجموعة ، و يرى كلود ليفي ستراوس أن هذا النظام قد نشأ مكملا لعمليات التبادل المستمرة و يرى أن الزوجات احدى السلع الاكثر تبادل بين المجموعات البدائية.

• الإضواء أو التزاوج الداخلي

هذا النوع من الزواج هو عكس الاغتراب بمعنى أن الزواج يتم داخل المجموعة ، و ليس خارجها ، و لا توجد مجتمعات تتخذ الإضواء و الاغتراب معا نمطا لنظام الزواج ، إلا في حالة إنتقال مجتمعات الإضواء إلى النظام الإغترابي . إن الإضواء أو الزواج الداخلي نشأ في ظل ظروف كانت تدعو إلى التماسك بين أعضاء المجتمع من أجل الحفاظ على كيان العشيرة في تحركاتها الرعوية و في نزعاتها الدائمة ، و قد ساعد نظام تعدد الزوجات على ممارسة الإضواء و الاغتراب معا حسب الظروف الإقتصادية السائدة.

• أنواع الزواج :

يرتبط هذا القالب بالزواج بين أبناء العمومة أو الخؤولة ، و نادرا ما نجد مجتمعا يمارس النوعين معا ، بل يتخذ من أحدهما قالبا مراعيا زواج أبناء العمومة أو الخؤولة حسب نوع المجتمعات أحادية النسب التي تسلسل القرابة في جانب واحد الأب أو الأم .
و يمكننا أن نرى في زواج الاقارب دوافع معينة يتغلب بها المجتمع على عدد من العقبات الإجتماعية السائدة من بينها :

_الزواج من أشخاص معروفين مما يوثق الروابط داخل مجموعة القرابة
_ تجنب أو تقليل التابو (المحرم) على العلاقة بين الزوج و الزوجة من ناحية و الحمو و الحماة من ناحية

أخرى ، ذلك لأن الحما و الحماة هما عم و عمة أو خال و خالة ، فالعلاقة القرابية أسبق من العلاقة الزواجية

_ تأكيد بقاء الإرث و الملكية و القوة الإقتصادية داخل مجموعة القرابة

_ زواج التقاطع (القرابة الجزئية) يسهل على المجتمعات الصغيرة عدم الوقوع في زواج المحارم .

_ الزواج بشقيقة الزوجة المتوفاة

هو عبارة عن زواج تعويضي أو امتدادي لأنه عبارة عن امتداد لزواج الشخص بزوجته المتوفاة ، و يتدخل في هذا الموضوع أيضا الصداق المدفوع من قبل إذ أن شقيقة الزوجة ستكون استيفاء للصداق الأول ، و يختلف هذا النوع من الزواج عن نظام تعدد الزوجات الشقيقات في أنه لا يتم إلا بوفاة الزوجة الأولى ، و لا يبيح الجمع بين شفيقتين على قيد الحياة ، و هناك أنظمة خاصة تنص عليها المجتمعات في حالات مختلفة هي امتداد لهذا النظام التعويضي فقد يحدث ألا يكون للزوجة المتوفاة شقيقة ، و هنا يصبح من حق الزوج أن يتزوج ابنة شقيقها ، أي أن الفتاة تضطر لأن تتزوج زوج عمتها ، و في الحالات القصوى يطلق شقيق الزوجة المتوفاة زوجته ليعطيها إلى زوج شقيقته ، و هذا أمر شائع في إفريقيا الزنجية.

_ زواج أرملة الشقيق مسبقا

يتم هذا النوع من الزواج دون أن يكون الزوج قد توفي بعد ، فإن الزوج يسمح بعلاقات جنسية بين زوجته و شقيقه غير المتزوج على اعتبار أنه سوف يكون له مثل هذا الحق حينما يتزوج هذا الشقيق ، و يشيع هذا النوع من العلاقة الجنسية المفتوحة بين الشقيقين و زوجة أحدهما أو كليهما بين كثير من الامريند و خاصة قبيلة الشوشوتي ، و ينادي الشخص زوجة شقيقه بلقب زوجة باعتبار أنها يمكن أن تؤول إليه بعد وفاة شقيقه

_ الزواج الجماعي

هو عبارة عن مجموعة من الجنسين تتزوج و تقيم معا علاقات شرعية بين الكل ، و هذا يساوي نظامي تعدد الزوجات و الازواج معا ، و يشكك كثير من الباحثين في وجود مثل هذا الزواج في الماضي أو الحاضر ، و قد ظهرت كمرحلة من مراحل الزواج بين نظريات التطوريين باسم مرحلة الشيوع .

_ الزواج مقابل الصداق

هذا أكثر أنواع الزواج شيوعا في العالم ، و لا يعني الصداق ثمن العروس كما هو متعارف عليه ، بل إن حقيقة الصداق عبارة عن تعويض يتقاضاه أهل العروس مقابل خسارتهم للفتاة ، ومن تنجبهم من الاولاد ، أي أنه تعويض مادي لفقدان عدد غير محدود من النسل ، كما يمكن أن يلحق بمجتمع الفتاة و يقوي هذا المجتمع عدديا و سياسيا ، فالصداق المدفوع لأهل العروس يعاد دفعه و ذلك من أجل العمل على جلب فتاة

أخرى كزوجة لأحد أبناء المجموعة ، و بذلك تعوض الفتاة التي تزوجت خارج المجموعة بفتاة من الخارج تدمج في المجموعة هي و نسلها ، بالإضافة إلى هذا فزواج الاخت بزوج أختها حين تتوفى هو تعبير آخر عن مدى مفهوم الصداق و دوام فاعليته ، أي أن الصداق لا يزول مفعوله بوفاة الزوجة .

• أين يقيم الزوجان الجديدان

• الإقامة العصبية ، الإقامة عند أهل الزوج
و تعني إقامة أبوية المكان ، و تنقسم الإقامة العصبية إلى قسمين هما إقامة عصبية أبوية ، وتعني أن تقيم الاسرة الجديدة في بيت والد الزوج و تسمى اختصارا إقامة عصبية و إقامة عصبية أموية و تعني الإقامة عند أحد أقارب أم الزوج ، و لكن هذا القريب هو غالبا شقيق الأم (الخال) ، لذلك تسمى مثل هذه الإقامة اختصارا و توضيحا بإقامة خؤولية .

• الإقامة الرحمية (الإقامة عند أهل الزوجة)

يمكن أن نطلق عليها إقامة أنثوية ، و تنقسم الإقامة الرحمية إلى قسمين هما ؛ إقامة رحمية أبوية بمعنى الاقامة في بيت والد الزوجة ، و تسمى اختصارا إقامة رحمية أموية ، و تعني الإقامة عند إحدى قريبات الزوجة و تكون غالبا عمة الزوجة.

• إقامة مستقلة ، إقامة متنقلة

بمعنى أنه يسمح بالإقامة العصبية أو الرحمية ، و التنقل بينهما حسب الظروف المختلفة ، أو يظل كل من الزوجين في بيته ، و يقوم الزوج بزيارة زوجته بين الحين و الآخر ، و ليست هذه الانواع من الإقامة ثابتة على الدوام ، بل يحدث تغير في الإقامة حسب الظروف المختلفة .
• الأسرة

الأسرة هي أهل الرجل و عشيرته و الجماعة يربطها أمر مشترك و نطلق في الاصطلاح على عدة معان ، و هي الجماعة المؤلفة من الاقارب و ذوي الرحم و الحلف و الجماعة المؤلفة من الوالدين و الأبناء و تحتوي الاسرة في أساسها على ثلاثة مواضيع متداخلة هي الرابطة التي تجمع ذكرا و أنثى برباط المعاشرة ، و نظم هذه الرابطة و مدى استمرارها و هنا تظهر كافة أشكال الزواج على نحو ما أسلفنا، و التنظيم الداخلي للأسرة بمعنى دور كل فرد فيها و وضعه الإجتماعي و الخلقي و الوظيفي ، و أخيرا الاسرة و وظيفتها داخل إطار المجتمع ككل ، و من أهم الانماط الرئيسية للأسرة نجد :

_ الاسرة الاحادية

وتسمى أيضا بالأسرة النووية أو الاسرة الزواجية ، و ترتبط بنظام الزواج و من الصعب البث في هذا الموضوع

بنسب مئوية إحصائية ، فالمجتمعات الإسلامية تجيز تعدد الزوجات و تشتمل الاسرة الاحادية على جيلين من الآباء و الابناء و على ثماني علاقات متبادلة هي

- علاقة الاب مع الزوجة ، الابن ، الابنة
-علاقة الام مع الابن ، الابنة
- علاقة الاخ الاكبر مع الاخ الاصغر ، الاخوة البنات
- علاقة الاخت الكبرى مع شقيقاتها

و تكون هذه العلاقة أساس نظام القرابة و البناء الاجتماعي ، و توجد بين كل فرد علاقات متبادلة اجتماعية ، اقتصادية ، عاطفية ، و أخلاقية و لكن العلاقة الاساس التي تبنى عليها الاسرة في جوهرها هي العلاقة الإقتصادية .

• الاسرة الممتدة

تتكون الاسرة الممتدة من عدة أسر أحادية ترتبط معا برباط التسلسل القرابي الاموي أو الابوي ، و تعيش معا في مسكن واحد ، و تتكون هذه الاسرة من أكثر من جيلين ؛ جيل الاجداد و جيل الأباء و جيل الاحفاد ، ففي المجتمعات الابوية يمكن أن تكون الخلايا أسرا متعددة الزوجات ، بينما في مجتمعات النسب الاموي نجدها أحادية الزواج ، أما الذي يميز الاسرة الممتدة هو خضوعها إقتصاديا للجد أو الأخ الأكبر الذي يتصرف في كل دخل أو نشاط أفراد هذه الخلايا المتعددة ، ففي الاسرة الممتدة نجد أن رئيس العائلة يجمع بين يديه جميع السلطات الاقتصادية بالإضافة إلى مجموعة من السلطات الاخرى ، سواء كانت قانونية أو إجتماعية بحكم علاقات الاب أو الأخ الأكبر بالأبناء و الاخوة الاصغر .

•الاسرة متعددة الزوجات

نظام تعدد الزوجات أكثر أنواع الزواج شيوعا في العالم ، و بالتالي فإن الكثير من الاسر في العالم متعددة الزوجات ، و لا توجد أسباب محددة لنشأة الاسرة متعددة الزوجات ، لكن هناك مجموعة من الأسباب التي تظهر في المجتمعات المختلفة و من بين هذه الأسباب فرض محارم على العلاقات الجنسية مع الزوجة خلال الحمل و أثناء الرضاعة ، و أثناء فترة الحيض غير أن الاسباب الاقتصادية هي سبب تفاقم هذه الظاهرة ، فنجد أن الأغنياء هم الأكثر إرتباطا بنمط الاسرة متعددة الزوجات ، بخلاف الفقراء الذين يكتفون بزوجة واحدة و ذلك نظرا للظروف المادية التي تجعل من الصعب توفير جميع الإحتياجات للزوجة لأن طاقة العمل أكبر

• الاسرة متعددة الازواج

هذا النمط من الزواج يجعل للزوجة أكثر من زوج ، و يسمى هذا الشكل بتعدد الازواج و به ينتسب الفرد إلى

أمه ، حيث تقع السيطرة هنا في يد الزوج الاكبر سنا ، و نجد أن الاسرة متعددة الازواج أقل ظهورا من أنواع الاسر الاخرى ، و يظهر هذا النمط من الزواج عند زراع التبت و في جنوب الهند و عند الإسكيمو و بولينيزيا و عند التودا في جنوب الهند نجد الازواج إخوة غالبا ، و ربما كان الفقر الاقتصادي هو أهم أسباب ظهور هذا النمط من الزواج ، ففي الاسرة الممتدة نجد أن رئيس العائلة يجمع بين يديه جميع السلطات الإقتصادية ، بالإضافة إلى مجموعة من السلطات الاخرى سواء كانت قانونية أو إجتماعية بحكم علاقات الأب أو الأخ الأكبر بالأبناء و الاخوة الاصغر .

• **نظرية القرابة عند كلود ليفي ستراوس**

إن البنيوية هي تركيب لمجموعة من العناصر ، فهي تركيب لهياكل و بنيات بغض النظر عن العلاقة بالتاريخ ، و لا يعتبر البنيويون أنفسهم فلاسفة بل هم نوع من القطيعة مع الفلسفة خصوصا مع فلسفة الذات . لقد طور ليفي ستراوس بحوثه لدراسة بعض الظواهر مثل علاقات القرابة و التحالف في مختلف المجتمعات ، طبق ستراوس دراسته على نظام القرابة فهذه الأخيرة هي نظام تواصل فهي لغة تبادل للعلامات و النساء ، فالبنيوية عند ستراوس هي تطبيق للكانطية التي تقوم على تعالي الذات ، فحسب ليفي ستراوس لابد من تحليل النظام القرابي للوصول إلى البنية الكلية التي تحكم هذا النظام ، و ثم الوصول إلى القانون البنيوي فالأسرة تعد المظهر الحقيقي للنظام القرابي يفترض ستراوس بداية أن للأسرة وجودا أعمق من وجودها الظاهر ، و هذا الوجود هو التعبير المشروط لها و لولاه لما كانت الاسرة ، فحسب ستراوس كل مجتمع يقوم على أساس قاعدة تحريم سفاح المحارم ، و هي قاعدة عامة داخل المجتمع البشري.
و يرى أن قانون التحريم هذا هو قانون بنيوي و يعادل البنية الخالية كما أنه قانون ذهني عقلي حاضر في اللاوعي أو الشعور إلا أن الامتيازات الإجتماعية حجبته عن الظهور ، و هذا القانون هو الاساس الحقيقي للنظام القرابي ، و وجود الاسرة

- قاعدة سفاح المحارم = البنية الخالية
- البنية الخالية = الزوج الخارجي
- إذن قاعدة سفاح المحارم= الزواج الخارجي.

ختاما يمكن القول أن نظام القرابة يعد من الموضوعات الأساسية في الأنثروبولوجيا لأنه المجال الذي يتم بمقتضاه التعرف على طبيعة علاقات الإتصال ، عبر قنوات الاسرة و الزواج ، و يعد النظام القرابي من الموضوعات الاولى التي تم تناولها في السياق الأنثروبولوجي، فقد عني به لويس مورغان في كتابه أنظمة قرابة العصبية و النسب للأسرة ، كما اهتم به مارسيل موس، و رادكليف براون و كانت لإسهامات كلود ليفي ستراوس الفضل الكبير في تطوير هذا المجال ، فالقرابة عند ستراوس ترتكز على كيفية نسأة الاسرة فالعنصر الاساسي في تشكيل الاسرة عنده هو الخال ، فالبنية الخالية نسبة إلى الخال هي المتحكم الاساسي في ظهور الاسرة ، و هي بمثابة قانون ذهني و عقلي حاضر في اللاوعي الانساني و هي البنية الاساسية المتحكمة في تنظيم الاسرة .

الانثروبولوجيا الثقافية :

تدرس الشعوب القديمة كما تدرس الشعوب المعاصرة تهدف إلى فهم الظاهرة الثقافية وتحديد عناصرها و دراسة عمليات التغيير والتمازج الثقافي والمقارنة بين الثقافات وتفسير المراحل التطورية لا توجد في الواقع الاجتماعي صورة مستقلة يمكن التمييز بين ماهو مادي وماهو فكري وماهو اجتماعي لأسلوب الإنسان ببنائه و مسكنه وطريقة الأكل والملبس وأدواته وأسلحته وسلوكه الاجتماعي بإنسان آخر أو حتى علاقته بالمبادئ والمثل العليا انطلاقا من تعريف تايلور الذي هو معروف إلا أن الحقيقة نجدها في تعريف إدغار موران الثقافة تبدو كلمة ثابتة والحال أنها كلمة فخ خاوية منومة ملغمة حائلة يرى جيمس سبرادلي إن ثقافة المجتمع تتكون من كل ما يجب على الفرد أن يعرفه ويعتقده بحيث يعمل بطريقة يقبلها أعضاء المجتمع إن الثقافة ليست ظاهرة مادية فحسب وإنما هي تنظيم لهذه الأشياء في شخصية الإنسان فهي مايوجد في عقول الناس من أشكال لهذه الأشياء فالثقافة إذا اسلوب حياة الذي يميز مجتمع عن غيره فمثلا الأكل حاجة بيولوجية يشترك فيها الانسان وحتى الحيوان لكن طريقة الأكل تعتبر ثقافة تختلف من مجتمع إلى مجتمع و تتميز الثقافة بعدة خصائص مادية ومعنوية عضوية تراكمية متنقلة بالاحتكاك مكتسبة

الثقافة الإنسانية في كل لأزمنة والأمكنة هي الموضوع الرئيسي في الأنثروبولوجيا الثقافية، فهي تهتم بدراسة الناس وعاداتهم وتقاليدهم تحت ظروف ثقافية معينة، والتطور الرئيسي لمراحل الثقافة، فالإنسان على ما يقول "مالينوفسكي في مقاله المشهور الذي كتبه في دائرة المعارف الاجتماعية فالانسان هو كائن له شكله الفيزيقي، وتراثه الاجتماعي، وسماته الثقافية، فإذا كانت الأنثروبولوجيا الفيزيقية تصف الإنسان وخصائصه الفسيولوجية، وإذا كانت الأنثروبولوجيا السيكولوجية تهتم بالطبيعة الإنسانية، فإن الأنثروبولوجيا الثقافية تدرس الإنسان ككائن يعيش في ثقافة

يقول الفيلسوف الفرنسي ديكارت في مقال عن المنهج: "ولما تأملت في الرجل نفسه، بنفس عقله إذا نشأ منذ طفولته بين فرنسيين أو ألمانيين فإنه يصبح مختلفا عما يكون لو عاش بين صينيين أوأكلة لحوم البشر كما أن الأزياء التي أعجبتنا منذ عشر سنين، والتي قد تعجبنا أيضا قبل عشر سنين تبدو الآن شاذة ومضحكة بحيث تكون العادة والتقليد هما اللذان يؤثران في آرائنا أكثر من أي علم يقيني ومعنى ذلك أن الإنسان في كل زمان ومكان له ثقافته وتراثه وهذا التراث هو المجال الرئيسي في الأنثروبولوجيا الثقافية

ويدرس هذا الفرع طريقة معيشة مجتمع ما سواء أكان ذلك المجتمع بدائيا أو متخلفا أو ناميا أو متقدما، والثقافة من صنع الإنسان وهي ظاهرة طبيعية تخضع لقوانين الطبيعة مثل قانون البقاء للأصلح ولذلك يدرسها هذا الفرع بمناهج علمية لا تختلف عن المناهج التي تستخدمها العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر الطبيعية الأخرى.

تهتم الأنثروبولوجيا الثقافية بالسلوك التقليدي للبشر في السياق الاجتماعي، حيث يدرس الأنثروبولوجيون الثقافيون أنساق الحكم وسلوك الجماعات ابتداءا من المجتمعات البدائية ذات التكنولوجيا البسيطة وصولاً إلى المجتمعات المتحضرة، فهي تهتم بأقزام غابات إفريقيا الاستوائية و الشعوب البدوية التي ترعي الأغنام والماعز الشرق الأوسط، وعن الأمريكيين الذين يحتلون الطبقات الوسطى في القطاع الغربي الأوسط من

الولايات المتحدة، وكانت تركز الأنثروبولوجيا الثقافية في الماضي على الشعوب الغربية ذات الأنماط التكنولوجية البسيطة وتدرس أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها فتتبع نموها وتطورها وتدرس بناء الثقافات البشرية وأدائها لوظائفها في مكان وزمان.

فهي تهتم بالثقافة في ذاتها، سواء كانت ثقافة اسلافنا أبناء العصر الحجري أو ثقافة أبناء المجتمعات الحضرية المعاصرة في أوروبا وأمريكا والتي تمتاز بالحضارة والرقي والتقدم فهي تركز على الثقافة بمفهومها العام عند الشعوب البدائية ثم تحول الاهتمام إلى المجتمعات المتحضرة والمتقدمة وما لها من ثقافة ومنتوجات ثقافية.

لان الإنسان اجتماعي واقتصادي بطبعه لكن قبل هذا كله فهو كائن ثقافي وهذا ما يميزه عن باقي المخلوقات الأخرى وقد جاء في كتاب: "علم خصائص الشعوب، علم الأقوام" أن الأنثروبولوجيا الثقافية أو ما يسمى الإناسة الثقافية، تقوم بدراسة نواحي التشابه والاختلاف في السلوك لدى الجماعات البشرية، ووصف طبائع مختلف الثقافات وعمليات الثبات والتغير والتنمية المميزة لتلك الجماعات ويدرس الشعوب التي لا تزال تعيش في مرحلة ما قبل صنع الكتابة، إضافة إلى ثقافات الشعوب المتخلفة، وأن هذه المجتمعات البشرية التي لم تصل في مسيرة تطورها الثقافة إلى مرحلة تدوين مناحي حياتها اليومية بكلمات منطوقة مرمزة، فإنها لا تستجمع في ذاتها مقومات الصيرورة التاريخية، وبالتالي حسب رأيهم فإنها تقع خارج نطاق التاريخ، ويطلقون على مثل تلك المجتمعات تسميات متعددة من أهمها البدائية أو شعوب مرحلة ما قبل التاريخ.

إن قدرة الإنسان على إنتاج الثقافة هي خاصية تميز بها الإنسان عن باقي الحيوانات جميعا، ومن أهم عناصر الثقافة اللغة فعن طريقها تجمع وتسجل الثقافة وتنقل من جيل إلى الآخر، وبالتالي تنمو وتتقدم، كما أن الثقافة تزود اللغة بمعظم مضموناتها فهي التي تعطي الإنسان الموضوعات التي يتكلم عنها ، وتشمل الثقافة كذلك كل ما يصنعه الإنسان من عناصر المادة مثل الملبس والمبنى والآلات والأدوات لتي تزداد كثافة كلما تقدم الإنسان، ومن أهم عناصر الثقافة العلاقات لاجتماعية التي تربط بين الإنسان وأخيه الإنسان، أي النظم الاجتماعية التفرقة بين العلاقات الاجتماعية الإنسانية التي تدخل في نطاق ثقافة والعلاقات الاجتماعية التي تظهر غريزية عند بعض الحيوانات فالإنسان كما سبق الإشارة إليه هو المخلوق الوحيد الذي استطاع ولايزال ينتج عالمه من حيث الأدوات المختلفة وكذا الأفكار والتصورات الحية القادرة على تحدي المحيط الطبيعي الذي يعيش فيه وكل التهديدات التي يمكن أن تواجهة ، المتميز بابتكاراته واختراعاته وهذه هي الميزة الرئيسية لهذا الأخير عكس المخلوقات الأخرى غير ثقافية إن صح التعبير تلك المخلوقات العاجزة عن التغيير من وضعها والعاجزة عن تقديم البدائل والتطويرالفاقدة للثقافة.

وهناك اختلاف كبيرة السلوك بين البشر والحيوانات الأخرى فالحيوانات تختلف عن البشرة عادات الطعام وإقامة الأعشاش وأنماط السلوك الجنسي وتربية الصفار والعلاقات الاجتماعية، فمثل وعلى الرغم من اشتراك الإنسان بعض الخصائص السلوكية مع الحيوانات الأخرى، فإن قدرات الفكر واللغة التي تنتج الثقافة تقتصر على بني البشر.

وعموما نجد أن هناك العديد من المهام للباحث الأنثروبولوجي في الثقافة ومنها :

1- المهمة الأولى تتمثل في الحصول على تقارير وصفية دقيقة عن الظواهر الثقافية، فبينما نجد أن موضوعات العلوم البيولوجية والفيزيقية لا تتأثر بالعمر والجنس والسلالة أو تحاملات الباحثين، فإن موضوعات الأنثروبولوجيا الثقافية هي البشر الذين يختلفون حسب المتغيرات السابقة. وعلاوة على ذلك فإن هؤلاء

المبحوثين لهم أعمار وأجناس مختلفة وهذه الشعوب موضوع البحث لديها معتقدات وقيم خاصة تزيد من صعوبة البحوث الأنثروبولوجية الثقافية حتى بالنسبة لأكثر الباحثين تميزا ومهارة.

2- وبالإضافة إلى موضوع البحث فإن الأنثروبولوجيا الثقافية تختلف عن العلوم البيولوجية والفيزيقية الأخرى في عدد الوحدات التي توفر على دراستها وترتب عليها اختلاف أبعاد مشكلات البحث والإجراءات والتعليمات النظرية الأخرى

3- وأكثر المداخل أهمية لدراسة الشعوب موضوع الدراسة تكون من خلال دراسة تكنولوجياتها أو أنماطها الثقافية المادية وكذلك أنماط حياتها الاقتصادية من خلال استخدام اللغة الوطنية للمبحوثين.

4- الفترة الكافية من الدراسة الميدانية لدراسة القيم والموضوعات الثقافية الأخرى دون إجبار المبحوثين على الإدلاء بمعلومات عن أنساقهم الثقافية وأن يتم ذلك من خلال دراسة اللغة الوطنية للمبحوثين

النظرية الثقافية:

ترمي فروع الأنثروبولوجيا الثقافية سابقة الذكر إلى فهم طبيعة ظاهرة الثقافة وتحديد عناصرها سواء في المجتمعات الحالية أو المجتمعات القديمة، ويختلف هذا النوع عن الفروع الأخرى في تخصصه في دراسة التغير الثقافي والامتزاج والصراع بين الثقافات، ويدرس كذلك خصائص الأشكال المتشابهة من الثقافات أي الأنماط الثقافية التي تحدث بصورة مستقلة في الأماكن والعصور المختلفة

يظهر جليا أن الثقافة بمعناها الواسع والشامل تعد الموضوع الرئيسي للأنثروبولوجيا الثقافية، كما أن الاتجاهات أو المقاربات النظرية ي البدايات الأولى لظهور هذا الفرع اتخذت نزعة تطورية Evolutionnisme ، حيث ترى ازدهار المقاربة التطورية وسيطرتها على الدراسات الأولى للثقافة والمنتوجات الثقافية للإنسان البدائي أو المجتمعات الطبيعية كما يسميهم الرواد الأوائل.

يتضح مما سبق أن الأنثروبولوجيا الثقافية تنقسم إلى خمسة فروع ولكن الفرع الأخير يتميز بإشراك موضوعاته الخاصة بتطور الثقافة أو عناصرها في جميع الفروع الأربعة الأخرى يوجد فرعان منهما بصورة مستقلة في الجامعات المتقدمة وهما فرعا علم الآثار وعلم اللغويات ولذلك نسي المثقفون العلاقة الأكاديمية التي تربطهما بالأنثروبولوجيا الثقافية، واليوم يستخدم اصطلاح الأنثروبولوجيا الثقافية للدلالة على الإثنوجرافيا والإثنولوجيا أما الأنثرو الاجتماعية فقد اختلفت الآراء في تحديد علاقتها بالأنثروبولوجيا الثقافية، وقد أشرت سابقا إلى رأي المدرسة الإنجليزية التي ترى الفصل بين الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية على أساس أن كلا منهما مستقل أما المدرسة الأمريكية فترى أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية فرع من الأنثرو الثقافية على أساس الفهم الأمريكي لاصطلاح ثقافة.

إن الدارس للمراحل التي مرت بها نشأة الأنثروبولوجيا عامة وفرعيها الثقافي والاجتماعي يجد أن هناك صعوبات جمة للتمييز بينهما نظرا للتداخل والتقاطع الكبيرين بينهما وليس من الهين القول بأن الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي ذلك الفرع من الأنثروبولوجيا الثقافية أو العكس كما ذهب إليه البعض، إلا أنه في نظرنا تبقى الصعوبة قائمة نظرا للتحيز المدرسي والأيديولوجي للمختصين بهذين العلمين.

الأنثروبولوجيا الدينية:(مجال من مجالات الأنثروبولوجيا الثقافية)

منذ بدء ظهور الاهتمامات المبكرة للأنثروبولوجيا بثقافات المجتمعات ومحاولة فهم مدى الفروق والاختلاف بين ماضي المجتمعات وحاضرها أخذ السؤال حول كيف وكم تؤثر العقائد على تشكُّل الناس وفهمهم للطبيعة والعلاقات القائمة بينهم. ولعل النصوص الدينية .وبالذات في الكتاب المقدس بسبب إيرادها أوصافاً وتفاصيل عمّا كانت عليه حياة أسلاف الشعوب الحديثة في تصرفاتهم وأفعالهم الحياتية اليومية - ما دفع بعض المفكرين لطرح السؤال الآتي: هل مرّت البشرية بتحولات لتصبح على ما هي عليه اليوم؟ ونظراً إلى شيوع مفهوم التطورية تولد الفضول المبكر المفضي إلى إثارة أسئلة حول كيف كان يعتقد أو يفسر الإنسان في الماضي علاقاته بالطبيعة وسعيه للإجابة عن الأسئلة المصيرية الكبرى؟

ولمّا بدأ الإنسان في تحقيق شيء من القدرة على التحرك من موطنه إلى أماكن موغلة في البُعد، وكذلك للتعرف على شعوب مختلفة جداً وربما -من منظور تطوري- تنتمي إلى مراحل تاريخية قديمة جداً، طرأت فكرة أنه عند تأمل ودراسة هؤلاء الأقوام ربما كان بإمكاننا تتبع ما كان عليه أسلافنا في مراحل تاريخية قديمة. ولقد ساعدت تجارب الرحالة المستكشفين على تراكم بيانات ووصف جوانب من حياة وعادات وتقاليد هذه الشعوب، وعند مقارنتها مع بعض البقايا السلوكية التي جمعها باحثون محليون عن العادات والتقاليد التي لا تزال آثارها باقية في حيوات أفراد مجتمعاتهم وبالذات في الأرياف وبعض أفراد المجتمع ممّا يتعارض أحياناً مع مستوى التطور الذي حققه المجتمع الحديث، فجر ذلك فكرة أن دراسة المجتمعات المتوحشة التي لم تتطور -كما تطورت المجتمعات الأوروبية- يمكن من خلال ذلك فهم ما كان عليه أسلافهم، فهذه الشعوب والثقافات يمكن اعتبارها نسخة مجمدة لما كانت عليه حالة الأسلاف. وأصبح المطلوب هو دراسة وفهم الحالات الأكثر بساطة وبدائية، حتى تكون المادة الأولية لتتبع مسار تطور مفهوم البشرية بخصوص الدين انطلاقاً من أفكار كانت سائدة حول وحدة النفس البشرية من حيث الأصل.

وعلى الرغم من أن العديد من المفكرين وأوائل الباحثين الأنثروبولوجيين، سعوا لاكتشاف مجموعات إنسانية ليست لديها أية مفاهيم أو أفكار تنمّ عن غياب أي تصورات دينية إلا أن ذلك لم يتحقق؛ أي أن المجتمعات البسيطة الأولية التي تعرَّف عليها المفكرون الأوائل من أصحاب الفضول المعرفي الأنثروبولوجي، وجدوا أن مفهوم الإيمان بقوى فوق طبيعية ووجود تصورات ميثالوجية حول خلق الكون كانت موجودة بصورة أو بأخرى في كل المجتمعات البشرية، حتى أكثرها بساطة وبدائية، مثلما كانت عليه الحال في قارة أستراليا التي تعرَّف المستكشفون على سكانها الأصليين الذين كانوا يعيشون حياة بسيطة جداً، ربما كانت الأكثر بساطة وبدائية بين معظم السكان الأصليين الذين تمّ التعرف عليهم، ولذا اقتضى ذلك أن تزداد كمية التقارير والكتابات التي أعدّها المستكشفون والرحالة.

وهذه الأدبيات الفردية الانطباع، شكلت الرصيد الوصفي الأول كمادة وبيانات "علمية" للعديد من الدارسين، لما يمكن أن يسمى بأنثروبولوجيا الكراسي الوثيرة لعلماء "تخصَّصوا" في تتبع ودراسة الظواهر الفلكلورية أولاً في حياة مجتمعاتهم، ولاحقاً في محاولةٍ لدراسة ما كان آخذاً في التراكم والتوسع مع ملاحظات وتقارير الرحالة والمستشكفين في محاولة -عند القيام بالمقارنات فيما تراكم من كتابات- للخروج بتصورات نظرية عامة.

من هذه الملاحظات العامة، أخذت تتبلور تفسيرات وشروح واصفة لما كان عليه سلوك هؤلاء السكان الأصليين، وسعي حثيث لتفسير وتأويل الكيفية التي فكر بها هؤلاء لتبرير تصرفاتهم الحياتية واليومية، ولماذا

نجد أحياناً بعض بقايا أمثال هذه التصرفات في حياتنا ومفاهيمنا، رغم التطور الذي مرّت به مجتمعاتنا؛ أي أننا نجد بعض البقايا الدفينة في تصوراتنا وسلوكنا الشعبي، وبالذات الريفي ممّا قد يصدق عليه إطلاق بعض هذه المفردات التي تمّ اشتقاقها - كما سنوضح عاجلاً - في بقايا لاوعينا الثقافي والفكري.

في هذا الخصوص مدّتنا هذه الثقافات والمجتمعات بترسانة من المصطلحات/ المفاهيم دخلت في سياق تفكيرنا، وأصبحت جزءاً من خزان المفاهيم المفتاحية في دراسة أثر الدين والأفكار في حياتنا، وبطبيعة الحال حياة تلك المجتمعات. وكانت هذه المفردات ربما أنها أخذت بلفظها -أحياناً بشكل متدرّج- من لغات تلك الشعوب.

وتشمل بعض أهم هذه المفردات مفردات تفسيرية من مثل "الفتشة" أو ما يوازي عندنا الحجاب، وهي نوع من مادة دينية محسوسة تُستخدم، لدرء الأضرار أو الشرور التي قد تهجم على الإنسان، واستخدام الفتشة قد يحمي الإنسان من هذه الأضرار والشرور. ويؤمن الإنسان الأولي بمفهوم "المائة"، وهو ما يمكن أن يقابل مفهوم "البركة" الغامض الذي يبشِّر بحدوث أفعال جالبة للخير بسبب أفعال أو تصرفات أشخاص أو أشياء تحمل نوعاً من القداسة أو ميزات خاصة في جوهر ذاتها. وهناك شخص له مواهب روحية خارقة لما هو طبيعي يسمى "الشامان"، أو ما يقابل في ثقافتنا الولي الصالح الذي يملك مواهب غير طبيعية، من شأنها أن تساعد من حوله برفع الضرر أو خلق الظروف التي من شأنها جلب المصالح والخير لهم. والشامان لديه قدرات في إدارة الطقوس الجماعية التي تُعقد في مواعيد وأماكن معينة، والتي تساعد على تآلف وإراحة المجتمع المحلي الذي يعيش بين ظهرانيه، والشامان يملك من الخبرات ما يمكِّنه من إدارة حفلات راقصة تُصاحبها الموسيقى، أو خلق أجواء من شأنها إحداث نشوة روحية قد تؤدي بالبعض إلى نشوة نفسية تدفع بعض المشاركين، لدخول حالة نشوة نفسية تفصلهم مؤقتاً عن الواقع المعيش، لتسبِّب لهم نوعاً من الراحة النفسية من أعباء متطلبات الحياة اليومية الشاقة، وإدخال نوع من السرور والاسترخاء، في مثل ما يُعرف بالحضرة أو الزار أو الدخلة عند بعض أنواع الصوفية الشعبية، كالعيساوية أو الرفاعية ونحو ذلك .ويعيش المجتمع البدائي البسيط -حتى يتوحد في طقوسه واحتفالاته- تحت تأثير مفهومين آخرين أخذا معاني مختلفة، لكن في الأساس كان مفهوم تابو يعني المحذور الذي عند الإساءة إليه أو الامتناع عن عمله أو أكله، يمكن أن يؤدي إلى أضرار تلحق بمن فَعَل ذلك، ممّا ساعد على ترسيخ وجود ضوابط اجتماعية تحمي وحدة ذلك المجتمع وتساعده على تجانسه ووحدته، وهنا يبرز المفهوم الآخر المسمى الطوطم أو المشترك الموحّد قرابة وحياة بين أفراد المجتمع (في إحدى معانيه). ولعبت الأساطير المؤسسة وبالذات أساطير الخلق وتشكُّل الكون والعالم في حياة الإنسانية دوراً كبيراً.

لعبت مجموعة المفاهيم التي جئنا على ذكر بعضها في بداية تشكيل وحدات أساسية لفهم الظاهرة الدينية أو الاعتقادية في المجتمعات البسيطة، بل أصبحت وحدات أولية، سعى بعض المفكرين، ومنهم فرويد ومدرسة التحليل النفسي إلى استعمالها، باعتبارها تعكس الوحدات الأساسية المشكِّلة لنفسية وعقلية الإنسان، وهي لا تزال واضحة قوية التأثير على عقلية الإنسان البسيط الأولي، ومن هنا بدأ بعض أوائل دارسي الفلكلور أو علماء الأنثروبولوجيا غير الميدانية في سعيهم لتقديم تصورات تخمينية للمقارنة والخروج بتصوّرات عامة عن مفاهيم الدين وعلاقتها بالمجتمع وبحياة الإنسان. وكان في ذلك بعض الافتراضات "العلمية" الكبرى السائدة، لعلّ من أهمها النظريات التطورية القائلة بأنّ الحضارة الإنسانية مرَّت وتمر بمراحل تطورية من أبرزها:

البدائية والهمجية، فالبربرية ثمّ التطور إلى الفلسفة والتأمل، ثم بعد ذلك الانتقال إلى التطور القائم على العلم والصرامة في العقلانية والابتعاد عن التصورات والمعتقدات الدينية البسيطة.

بعد انتقال مجموعات "المفاهيم" السابقة بحسب صياغاتها في لغات الشعوب "البدائية" المدروسة، أصبح أمراً ملحاً تفسيرها ومقارنة إمكانية استخدامها لتفسير ما أورد الرحالة والمستكشفون في بيئات أخرى آسيوية أو أفريقية، بالإضافة إلى استخدامها لتفسير بعض السلوكيات والطقوس التي لا تزال باقية في المجتمعات الأوروبية الحديثة بحسب ما توصَّل إليه جامعو الحكايات والمواد الفلكلورية.

وهنا مع عدم وجود فئة الأنثروبولوجيين الميدانيين ووجود ما عرف بأنثروبولوجيي الكراسي الوثيرة -نلاحظ تعدُّد التفسيرات والتنظيرات وتضارب انتقادات الدارسين فيما بينهم، ممّا أحدث "نقلة" نوعية في ظهور نظريات عديدة. ولعلّ من المستحسن أن نتوقف عند أبرز هذه النظريات التي لا يزال لبعضها أصداء حتى يومنا هذا، رغم تجاوز العديد منها. كانت أولى هذه الاهتمامات قد انطلقت من خلال دراسة الدين، ومدى تأثير اللغة والتعبير عن العديد من الظواهر في اللغة. وهنا تبرز جهود فريدريك ماكس مولر فلقد سعى لتسخير علم اللغة المقارن من أجل جلاء الغموض الذي يكتنف بعض نواحي الميثولوجيا، ولقد انتهى في دراساته إلى أن اللغة كانت سبباً في هذا الغموض بسبب الترادف والاشتراك اللفظي، وغير ذلك من أمراض لغوية، وقد أدّى هذا الفساد في اللغة إلى بلبلة الأفكار، وسوء التعبير عن المعاني الأصلية التي كان يرغب في توصيلها، وكان لذلك الأثر العميق في النصوص الدينية، ومن ثم عند محاولة فهمها ودراستها يتوجب على الباحث الدراية بهذا الفساد اللساني والعمل على تقويمه لفهم النصوص، ولقد تسبَّبت أبحاث وآراء مولر في فهم ودراسة الظاهرة الدينية في الفكر الحديث.

ظهر في أواخر القرن التاسع عشر إدوارد تايلور وكان من أنصار نظرية التطور، وكان يرى أن الحضارات أو السلالات البشرية تمرّ بمراحل متتالية من التطور هي: الوحشية وتليها الهمجية، وأخيراً المرحلة المدنية أو الحضارية. ولقد كرس مولر جهوده البحثية في دراسته للميثولوجيا والفلكلور من أجل بناء نظرية لتطور الجنس البشري. ونادى بمفهوم وحدة النفس أو العقل البشري؛ بمعنى أن الطبيعة الإنسانية متشابهة في الأساس، ومردّ الاختلافات بين المجتمعات البشرية يعود إلى المرحلة التطورية التي بلغتها، ونظراً إلى أن كل مرحلة من مراحل التطور تفرز خصائص المرحلة، وهي ستتغير مع تطور ذلك المجتمع. ومن أهم وسائل التغير أو التطور الاستعارة أو انتشار أساليب التفكير والاعتقاد بين المجتمعات؛ فلدى البشر القابلية للتطور وقبول الأفكار الجديدة التي تساعدهم للانتقال من طور إلى طور.

ولهذا كان مولر، يرى أن الدين هو الاعتقاد بوجود الروح أو النفس، وهي تسمى بالنظرية الروحانية، إذ تقوم على مبدأين؛ الأول هو الاعتقاد بأن أرواح الأفراد لا تتلاشى بموتهم، وإنما تنفصل عن أجسادهم وتبقى على قيد الحياة. أما المبدأ الآخر، فإنه يتعلق بوجود أرواح علوية يؤلّهها البشر، ومن هذه المنطلقات بنى تصوراً ميسراً على أساسه ما يمكن وصفه بالدين في المجتمعات البشرية البسيطة.

ولقد دفعته نظريته إلى الحديث عن أمرين مرتبطين بالجسد هما الروح والخيال. فالروح تمنح الجسد الحياة والقدرة على الشعور والإحساس والتفكير والحركة، وهي عندما تفارق الجسد في حالة الموت أو النوم أو الغيبوبة؛ فإنها تبقى -مع عدم إدراكنا ذلك- في نظر الإنسان الأولي ذات وجود مادي، ممّا يجعل الإنسان الأول

يتصوّر أن للروح حياة خاصة مستقلة بذاتها، وهي التي تزوره في أحلامه، وهي المولّد الأساس للرؤى المشكلة للظاهرة الدينية.

إذن، نقلنا تايلور بعيداً عن تصورات مولر عن فساد اللغة، ليربطنا بحياة الناس في وجودهم اليومي المعيش، وربط من طريق ذلك معبراً عن الحياة الدنيا والحياة الأثيرية الأخروية، مما قد يومئ بأن فكرة التناسخ كانت جزءاً من فكر الإنسان الأول إلى مركب معتقد من المعتقدات حول انتقالات الروح، ليتطور لاحقاً إلى الإيمان بالبعث والحساب. ومن منظور تايلور يفسر تعدّد الطقوس الدينية التي تأخذ في التبلور والتمايز في مراحل متقدمة من التطور البشري بعد أن يصل التنظيم الاجتماعي إلى مرحلة تكون فيها الطبقية وفرز أفراد المجتمع في شكل مراتب اجتماعية وسياسية، مما يدفع إلى ظهور المؤسسات الاجتماعية في شكل متقدِّم، يمكّن من تحويل الطقوس الدينية التي هي في الأساس نتاج اجتماعي يعكس التفاعلات والعلاقات الاجتماعية للبشر ويأخذ أشكالاً في شكل علاقة المسود بالسيد أو أشكالاً مختلفة للزبونية.

وما الدعاء أو الرجاء أو التوسل سوى أشكال اجتماعية دوافعها الخوف من العقاب والأمل في الثواب، بعد هذه المرحلة من التطور تشهد المجتمعات البشرية ظهور أماكن العبادة والتقديس، ومعها يظهر مفهوم القربان الذي يتحوّل مع الوقت إلى رمز للتعبير عن الولاء والتبعية والامتنان والشكر؛ وفي هذه المرحلة من التطور، يبدأ ظهور السلطة السياسية والطبقية التي تتداخل مع ما هو "ديني". وهنا يُدخلنا تايلور إلى كيفية تطور الفكر الديني إلى أن يكون عاكساً ليس فقط لعلاقة الإنسان بالطبيعة، وإنما علاقات البشر ببعضهم بعضاً من خلال علاقة السلطة والمصالح، وهذه المرحلة تعدّ بداية الانتقال من مرحلة تعدُّد الآلهة إلى مرحلة التوحيد، والتي ربما تؤكد على ضرورة تكريس علاقات السلطة في قوى اجتماعية سياسية محورية.

ويُرجع تايلور تضعضع العقائد الدينية مع مرور الوقت وضعف مؤسساتها إلى طبيعة الدين المحافِظة، حيث لم يعُد القائمون على الشأن الديني بمقدورهم اللحاق بمستجدات العصر والتكيف معها بالسرعة الكافية أو المناسبة، حيث يعودون غير قادرين على تلبية الحاجات العاطفية أو الذهنية للناس، مما يقتضي تفسيرات جديدة بناء على المرحلة التطورية التي يعيشها الناس.

ولقد لقيت أفكار تايلور قبولاً ونقداً واسعاً في الأوساط الأكاديمية، لكن مع ذلك كان لأفكاره أثرها العظيم على ما دار من أفكار مكّنت من إعادة تفسير الكثير من مواد المأثور الشعبي التي نجدها متناثرة في ممارسات وأفكار الطبقات الدنيا في المجتمعات الأوروبية، وبالذات بين فقراء المدن وساكني الريف.

وكانت أستراليا وما جرى فيها من دراسات، تشكِّل المهاد الأساس لدراسة الديانات في أشكالها البسيطة والأولية، وهي التي مدّت الفكر الأنثروبولوجي بمفهوم الطوطمية الذي أدى دوراً محورياً في تلك الدراسات حتى عقود. ولعلّ ما تناوله دوركايم في كتابه المعنون :الأشكال الأولية للحياة الدينية أكبر الأثر على الدراسات الحديثة عن الدين. إنّ مفهوم الطوطمية قد خلق موجة معقّدة دعائية من الجدل والنقاش ربما أدى إلى مزيد من ضبابية المفهوم وعسر هضم منهجية، حتى عقود ماضية قليلة عند ليفي شتراوس وسواه، وهي مرحلة عنوانها أن الدين والتصورات الدينية عبارة عن نتاج تمثيل للمجتمع نفسه في شكل آلهة ومفاهيم مثالية، ولقد أثّر مفهوم الطوطمية أنثروبولوجياً في تفسيره، وفي تطوير نظريات عديدة عن النسق القرابي والتنظيم الاجتماعي.

وقد استخدم مفهوم الطوطمية لتفسير العديد من الظواهر الاجتماعية والنفسية ليس فقط في المجتمعات الأولية، وإنما أيضاً في تفسير الكثير من الظواهر النفسية في العالم الحديث. وكتاب فرويد المعنون الطوطمية يفسر العديد من ردود الفعل الاجتماعية اللاواعية على أساس هذا المفهوم.

وفي هذا السياق، يبرز تأثير فريز صاحب الغصن الذهبي، والذي من خلال جمعه وتبويبه للأساطير في العالم، كان له عظيم التأثير على أفكار المشتغلين في الدراسات الأنثروبولوجية والفلكلورية، وصديقه وزميله ويليام رابرتسون سميث الذي كان رائداً مهماً في دراسته حول الطوطمية في سياق دراساته عن الجزيرة العربية : الدين، وكذلك دراساته عن الزواج والأسرة فيها، ويعدّ كتابه من أهم الدراسات العميقة، وكان -وربما لا يزال - لدراسته حالة الساميين (العرب) الأثر الكبير في دراسة الدين من الناحية الأنثروبولوجية بعيداً عن التفسيرات اللاهوتية التقليدية. وفي دراساته، برز الاهتمام بالشعائر والقرابين والطوطم (طوطم القبيلة) كإشارة جامعة للقرابة وظهور إله العشيرة مع الزراعة أو الرعي.

لقد قادت دراسات سميث وفريز، إلى الانتقال من التشكلات الاجتماعية إلى تشكل الأساطير المشكلة لتفسيرات أوسع وأعمق لخلق الكون ومصدر الحياة، انطلاقاً من التطور المعرفي والعلمي الذي توصل إليه البشر.

ولقد تلا ذلك تحوُّل مهم آخر من الأساطير الكونية إلى إعادة النظر والتقييم لتطورات المفاهيم عن المجتمع وتشكل العقل الجمعي أو الضمير الكلي بعيداً عمّا كانت تفسّر به الأمم الأولية أو البدائية وعيها بنفسها وبمجتمعها؛ أي أن الدراسات بدأت تنتقل وتتحول من سعي لفهم وتفسير كيف كان البدائي يفسر عالمه إلى التأسيس لوعي وفكر يعمل على تفسير ما تحوّل إليه فكر ووعي الإنسان بما يقوم به من خلال الدين؛ فهو يخلق عالمه الديني من خلال تمركزه واهتمامه بذاته، ليصل إلى نظريات تقول بأن الدين نتاج لتصورات ومفاهيم اجتماعية ثقافية، وليس نتاج فكر فوق بشري. وفي المراحل المتقدمة من محاولات تفسير الدين كانت التحولات هي من الطوطمة إلى علم النفس وبعدها علم الاجتماع، بداية على يد فرويد في كتابة الطوطمية والتابو، ثم التحول إلى علم الاجتماع من النقاشات التي كان فارسها دوركايم وغيره من الأنثروبولوجيين، والدراسات النقدية للمسيحية واليهودية لدى فرويد لليهودية وفيورباخ للمسيحية.

وعند وصولنا إلى هذه المراحل شقت الدراسات الميدانية الأنثروبولوجية الدراسة لتلك المجتمعات، والتي تمكنت من تطوير مناهج ونظريات "علمية" منهجية دقيقة عوضاً عن الاعتماد على ملاحظات من رحالة ومستكشفين، ممّا استدعى رؤية جديدة أكثر عمقاً واتساقاً وتواصلاً مع المجتمعات والثقافات المدروسة. وأصبحت الدراسة أكثر تحديداً وتخصيصاً على مجتمع محدد أو ثقافة ما. ولم تتوقف هذه الدراسات الميدانية للإجابة عن أسئلة البدايات والأصول أو التعميمات الكونية العامة، وإنما أصبحت أكثر تحديداً ودقة، وتداخلت الدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمفهوم الدين أو الحياة الدينية. كذلك لم تتوقف هذه الدراسات -في العقود المتأخرة -على دراسة المجتمعات والثقافات القديمة، وإنما أخذت في دراسة الظاهرة الدينية في سياق أوسع، بما في ذلك دراستها في إطار المجتمعات الحديثة أو القائمة، بل وحتى مع تطبيق هذه الدراسات على الأديان العالمية الكبرى في العالم من إسلام ومسيحية وهندوسية وبوذية ونحو ذلك.

ونظراً إلى أن هذه الدراسات لم تغلق نفسها عن نتاج المفاهيم والتصورات التي كانت سائدة في الحقل في دراسات مرحلة ما قبل الدراسات الميدانية الاحترافية، فإننا سنركز على نماذج من هذه الدراسات التي تمت عن

المجتمعات الإسلامية بصورة مقتضبة -قد تكون مخلَّة- لكن القصد توضيح مدى الغنى والتنوع في الدراسات الأنثروبولوجية الحديثة، وكيف يمكن أن تساعدنا على فهم ما تقدمه الأنثروبولوجيا في فهمنا لدور الدين وتأثيره في حياتنا اليوم.

ولعلّ تقديمنا لصور من هذه الدراسات، بدءاً من تلك التي سعت لتقديم تصور شامل، إلى الدراسات التي ركزت على جانب من تأثير الدين في الثقافة والحياة الاجتماعية والحياة العامة المجتمعية، وأيضاً دراسة بعض الوسائل والكيفيات التي يتشكَّل من خلالها الفكر الديني :لعلّ له دوره وأساليب انتشاره في الحياة العامة.

ومن نافلة القول الحديث عن مدى تأثير كلّ من جيرتس وجيلنر وتلاميذهم في دراسة دور وأثر الدين في حياة المجتمع المسلم اليوم؛ فلقد قام جيرتس بالعديد من الدراسات الميدانية والنظرية عن المجتمعات المسلمة وخصوصاً في كلّ من أندونيسيا والمغرب. فلقد درس في أندونيسيا مثلاً في كتابه دين جاوة ما يُعرف بالباطنية الجاوية وأثر العادات وبالذات ذات الأصول الهندوسية في بلورة صورة من إسلام تلفيقي مركَّب يُشكِّل مفهوم الإسلام في أندونيسيا وتحديداً في جزيرة جاوة. ولقد قارن جيرتس في كتابه المهم للإسلام ملاحظاً القيام بمقارنة لمفهوم الإسلام في كلٍّ من المغرب وأندونيسيا من خلال تقديم تصور لنماذج مثالية جعلها في شكل نائب محمد الخامس -الحسن اليوسي، وسوكارنو- كالجيكا وعلى أساس هذه النماذج المثالية حاول أن يوسِّع من فكرة كيف تأسست صورة القائد/ السياسي في مقابل القائد/ الروحي وكيف تمكَّن القائدان محمد الخامس وسكارنو من خلق صورة حديثة لقائد سياسي يحمل كاريزما روحية بحسب السياقات الثقافية المختلفة بين البلدين. إضافة إلى استفاضة استخدام جيرتس لسير وفهم كيف تحوّل تفسير النصوص إلى واقع سياسي واجتماعي حديث، مستفيداً من كافة المفاهيم التحليلية حول المغرب خصوصاً في مفاهيم، مثل: المخزن، وبلاد السببة والمخزن، والمغرب المفيد وغير المفيد، وكيف أن هذه المفاهيم الفرنسية الاستعمارية بلورت النموذج المثال للفكر السياسي والحزبي في المغرب. بينما تقليد الأولياء الذين أسَّسوا لدخول الإسلام إلى أندونيسيا في وجدانهم وجذبهم الصوفي وباطنهم أدى إلى ظهور مفهوم الباشسيلا، ومن ثم الإسلام الأندونيسي الباطني النزعة القادر على التعايش مع أفكار مركبة ملفقة الترابط.

ولقد أسهم جيرتس في استعراض مسألة كيفية إعادة تفسير النص الديني المتسامي في شكل تفسيرات أيديولوجيا تبريرية لمظاهر مفهوم الإسلام في البلدين انطلاقاً من واقعها الثقافي وليس انطلاقاً من معاني أزلية نصّية كما يدّعي في الوهلة الأولى. وتظهر تفاصيل رؤية جيرتس للإسلام المغربي في مشروع دراسة صفرو التي ظهرت في كتابه المعنون المعنى والنظام في المغرب، والتي جعل محوريتها في البازار وانتهائه، باعتباره المفتاح لفهم التبادل والعلاقات المدنية بين أفراد المجتمع المغربي. وكان لاستخدام جيرتس منهجية الفهم الظاهراني أثر عظيم في تشكيل مدرسة تعدَّدت دراستها وتناولها لمظاهر وانعكاسات الدين في ثقافة وحياة المجتمع المغربي. فهؤلاء تلاميذ درسوا الطرائق الصوفية، وتحديداً التوجهات الشعبية العجائبية ذاتها من مثل العيساوية في دراسات كارينزانو وغيره من دراسات تناول البركة وطقوس القرابين وتشكِّل الأعياد الدينية عند إيكلمان وغيرها من دراسات خصبة تناولت الدين، باعتباره ثقافة تعطي معنى ونظاماً للحياة اليومية.

في المقابل وربما كنتاج للأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية والمدرسة الفرنسية الاستعارية، برزت جهود أرنست جلنر الذي قدَّم نوعاً متطوراً من الانقسامية لدراسة دور الدين في مجتمع المغرب في تشكلاته المختلفة

المخزنية والقبائلية وفي الأوساط المدنية الفقيرة، ممثَّلة في السوق والزاوية والمسجد، وكيف أن البناء الاجتماعي وتحديداً الأسري والعشائري ما هو سوى تجسيد للممارسة والعلاقات الدينية. ولقد انتبه لموضوع التذبذبات التبدلية من الشرك إلى التوحيد -وهي نظرية أخذها عن دايفد هيوم- ترى أن هذا التذبذب يساعد على عدم التطرف في الدين. كذلك يستخدم وبشكل تلفيقي آراء الآباء المؤسسين لعلم الاجتماع: ماركس ودوركايم وفيبر لتقديم تفسيرات للسلوكيات الدينية في المغرب المدني والريفي (القبائلي(، بالإضافة إلى أفكار عامة حول كيفية تفسير القيادات السياسية للنصوص الدينية، انطلاقاً من فكرة مؤدّاها أن الإسلام يقدم في نصوصة الأصلية مخططاً أو مسودة لأسلوب حياة وثقافة ما.

ولقد أثرت آراء ودراسات كل من جيلنر وجيرتس على قطاع واسع من الباحثين الأنثروبولوجيين الدارسين للعالم العربي، لكن دراساتهم لم تقتصر على تقديم تصور عام شامل، وإنما ركزت على جوانب محددة، ومن هذه الجوانب دراسات سعت لتقديم تصورات الناس والمعاني التي يسقطونها على فهمهم لممارساتهم وطقوسهم الدينية اليومية، مثل ما نجده في "محادثات مغربية" أو داخل سياق الحياة الأسرية في دراسة "بيت سيدي عبد الله" التي تعقبت تعليقات ورؤى أسرة مغربية في الريف (شمال المغرب) حول العلاقات الأسرية والطبقية والهوية الدينية.

ولقد حظيت الإجراءات القانونية والقضائية بشيء من الاهتمام، وتعد دراسات لورنس روزن حول "أنثروبولوجيا العدالة "و"التفاوض للوصول إلى الواقع" والنظر إلى القانون، وبالذات ما تعلق منه في الأحوال الشخصية أمراً ثقافياً، إذ عن طريق هذا الفهم يُعاد تعريف معنى المفاهيم الأساسية من زواج أو قرابة على هذا الأساس.

اهتمت هذه الدراسات بالكيفية التي تعمل بها المحاكم الشرعية، ولقد أعدّت دراسات حول الموضوع، لعلّ ما تمّ فيها حول اليمن داخل إطار المذهب الزيدي من أهمها، وهنا نجد تقاطعات مهمة بين تقديم ملاحظات ميدانية حول إجراءات التقاضي في المحاكم الشرعية ودراسة الكيفية التي يتعامل بها القاضي مع النصوص الفقهية، بالذات حول فهم الدليل والقرينة القانونية، فيما سمي "دولة الحظ" كناية عن الصكوك الشرعية الصادرة عن تلك المحاكم.

واهتم بعض الأنثروبولوجيين بكيفية تكوّن العالم والواعظ المسلم، باعتباره نتاج واقعه الثقافي والاجتماعي. وهناك في هذا السياق، دراسات عديدة اهتمت بدراسة كيفية تكوّن الفقيه أو الواعظ، فقدمت دراسة لإيكلمان الكيفية التي تشكّل بها مسار فقيه في إحدى القرى المغربية، ودرس ذلك من حيث معرفة قوة وتأثير الخطاب الشرعي التقليدي على ساكني تلك المنطقة. ودرس أنطون ريتشارد أسلوب ودور خطيب جمعة وتأثيره في إحدى القرى الأردنية، ولقد قامت الدراسة على دراسة بلاغة وأسلوب الوعظ وتأثيره في مجريات الحياة السياسية والاجتماعية الراهنة. وقام تلميذ لهذا الباحث بدراسة أربعة وعاظ يمثلون رؤى مختلفة في القاهرة ومحيطها، ليتعرف على أساليبهم ومدى تأثيرهم في محيطهم، إضافة إلى دراسة نصوص خطبهم، وتعدَّدت الدراسات في هذا المجال، ومن أطرفها دراسة تخطَّت دراسة تأثير خطب الجمعة، لتطال الكتاب المدرسي لمواد الدين في المدارس الحكومية الرسمية موضحاً الدور المهم للعلماء في تعريف ماهية الدين والأدوار المُناطة بالمفاهيم والتصورات الدينية في تشكيل الرؤية الدينية عند النشء في دراسة عنوانها "تعريف الإسلام."

بطبيعة الحال توجهات الدراسة هذه، تبين أن عملية إعادة إنتاج مفاهيم وأطروحات "إسلامية"، إنما تتم عملية إعادة إنتاجها داخل مؤسسات تمولها وترعاها الحكومات، ولقد كان لهذه الدراسة صداها فيما تراه من مراجعات نقدية صراحة لما يَرِدُ في تلك الكتب المدرسية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكيف أن الحكومات المحلية أعادت النظر في تلك الكتب والمقررات المدرسية.

وتتوالى الدراسات حديثاً في دراسة الفضاء السيبري الحديث، لمعرفة تأثيرات ما يبث على وسائل التواصل الاجتماعي من رسائل ثقافية وسياسية من طرف القيادات والجماعات الدينية، مع الاهتمام ببعض الدراسات الموجّهة لدراسة الرموز الدينية في الفضاء الخاص والحميم لدى بعض المهاجرين ممن يعيشون في الغرب، ولقد توسّعت هذه الدراسة بالاهتمام بالرموز المؤكدة على الهوية الإسلامية في الفضاء العام، ويعدّ الاهتمام بمسألة الحجاب أو ظهور المآذن أو المساجد بشكلٍ عام في الغرب واحداً من هذه القضايا. ولقد درس بعض الأنثروبولوجيين مسألة الهجرة من زاوية آفاقها الدينية وأبعادها الرمزية، وتناولوا ما عُرف "باستزراع" الإسلام في أوروبا والغرب عموماً.

واهتمت الدراسات الأنثروبولوجية تقليدياً بما يُعرف بالدين الشعبي، ولعلّ ما قام به ويسترمان في المغرب حول ذلك يعدّ منجماً لدراسات عديدة ما زلنا -رغم ما تمرّ به مجتمعاتنا من عمليات تحديث وعلمنة- موضع تركيز واهتمام بموضوعات، مثل دراسة المربوطية والبركة والحسد ودراسة التعبيرات الفلكلورية للدين، باعتبارها مكونات أساسية لا يزال لها أثرها في حياة قطاعات كبيرة من السكان.

وتتوالى الدراسات والأبحاث الأنثروبولوجية المؤكدة على أن المحور المحرك سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً لسلوكيات وتصرفات شعوب العالم العربي هو الدين الذي ينبغي أخذه في الاعتبار بوصفه العامل الأهم، لكن، رغم ذلك نظراً إلى التحولات الجوهرية التي مرّ بها هذا الجزء من العالم، بدأت تظهر دراسات تعنى بالتحولات العلمانية التي تمر بها هذه المجتمعات، وتتلمس مدى تأثير العولمة والتيارات الفكرية الغربية الحديثة على فهم الناس للدين.

وتعد دراسات طلال أسد وتلاميذه رائدة في هذا المجال؛ فهو يرى أنّ العالم العربي آخذٌ في الانفتاح والتفاعل مع هذه التيارات من خلال تمريرها وفلترتها عبر مخزونه الديني الذي -في رأيه - يتميز بما أسماه الخطاب الاستطرادي أو الشرح والتعليق المؤسسي لإعادة إنتاج خطاب ديني ذي صبغة حديثة، وربما حتى علمانية. ولقد قدمت بعض تلميذات أسد دراسات ميدانية حول علاقة الفكر الديني بإنتاج جهود المجتمع المدني والأعمال الإغاثية والتنموية من هذا المنطلق. دراسات التحولات العلمانية وتقاطعها مع السياق الديني كما يعيشه الناس بوصفه مشكِّلاً لهويتهم وثقافتهم المعاشة من الميادين الواعدة جداً، وهي أكثر وضوحاً وإلحاحاً لكي تدرس ما نشهده من جدل ومواجهات بين الخطابات التي برزت على الساحة بشكل ما كان معهوداً في سياق الربيع العربي الذي نشاهده اليوم. ومن ثم نتوقّع مستقبلاً فريداً من الدراسات والتأملات حول صيغة وشكل الهوية الدينية في ظلّ أوضاع العولمة والتحولات السياسية التي تشهدها المنطقة، وهذا يعني أنّ الدراسة الأنثروبولوجية للدين وبالذات الإسلام لا تزال تعدُ بالكثير والكثير.

في الختام، ممّا يؤسف له أنّ الدراسات الأنثروبولوجية وبالذات للواقع الإسلامي والعربي لا تزال حكراً على الغربيين أو المراكز البحثية في الغرب، ومن ثم هذا –ربما- يذكّرنا بالدور الوظيفي للأنثروبولوجيا في عصر

الاستعمار؛ فبالرغم من إصرار وتأكيد الدارسين الأنثروبولوجيين على أن دراساتهم، إنما تعمل من أجل غايات علمية، وهي تسعى بموضوعية واحترافية إلى مقاربة دراسة الواقع بأكبر قدر من الحياد والدقة العلمية، إلّا أن هذه الاهتمامات بالواقع المعاش لا تزال من اهتمامات المراصد والمراكز البحثية للأكاديمية الغربية، وتفعّل أو يستفاد منها من طرف قواها السياسية. صحيح أن هناك أعدادا تتزايد من الباحثين من ذوي الأصول العربية والإسلامية تشارك في إعداد هذه الدراسات، لكنهم إنما يقومون بذلك داخل إطار تلك المؤسسات والمراكز العلمية الغربية، وربما حتى الكثير من دراساتهم وأبحاثهم تبقى غير معروفة ولا تلقى الاهتمام والعناية في أوطانهم الأصلية، وهي على أية حال كتبت لمرجعيات علمية خارج إطار أوطانهم.

وإنها لمفارقة مربكة وعميقة أن الدراسات الميدانية التي تهتم بالواقع والظواهر الثقافية والاجتماعية المؤثرة في السياسة والاقتصاد والواقع الاجتماعي لا تزال بعيدة عن اهتمامات جامعاتنا، وهي إنْ لقيت اهتماماً فربما من زوايا أمنية فقط، ومن طريق تكليف تلك المراكز الأكاديمية الغربية.

لعلّه من المفيد هنا في ختام هذه المداخلة المقتضبة العاجلة رفع الصوت والمطالبة بضرورة إيلاء اهتمامات أكبر من أجل إعادة النظر وزيادة جدّية الاهتمام في القيام بدراسات ميدانية تأخذ ما يجري فعلاً في مدننا وأحيائنا، بل وحتى في أسرنا بجدية أكبر.

وباعتبار أنها رأس مال ثقافي؛ فمن الضروري الاستثمار الجدي فيه من أجل بناء اجتماعي ثقافي أكثر رسوخاً وواقعية في عملية بناء المستقبل على أيدي أبنائه من الباحثين والدارسين، وأن تشكّل تلك الدراسات فضاء مهما وجاداً للنقاش والحوار العام، الذي من شأنه أن يبني مستقبله، وبالذات في مكوناته الأساسية، انطلاقاً من معرفة ميدانية مؤكدة، لا على طروحات وأفكار منقطعة عن الواقع، وربما لا تمثل سوى أماني القائلين بها.

فمحورية الدراسة الأنثروبولوجية للدين، وبالذات في مجتمعاتنا التي يلعب فيها التصور الديني الجامع المؤسس لمعظم رؤانا وأساليب تفكيرنا، ما يعزّز من ضرورة الاهتمام بالمقاربة الأنثروبولوجية للدين، وعندها يصبح ما تراكم من مفاهيم ونظريات وبحوث عالمية مادة مهمة للتأمل والنقد، وربما في بعض جوانبها ينبغي اكتسابها من طريق الدربة والتعلم.

قائمة المراجع:

1. زينب حسن زيود , الانثروبووجيا علم دراسة الانسن طبيعيا واجتماعيا وحضريا,دار الاعصار العلمي عمان الادرن,2015 ص255
2. معتوق جمال,الأنثروبولوجيا الفروع والمداخل النظرية,دار الكتب الحديث القاهرة,2016
3. رابح دراوش,عبد القادر خريبش,الانثروبولوجيا العامة,دار الكتب الحديث ,القاهرة,2011
4. إسماعيل فاروق مصطفى ، الأنثروبولوجيا الثقافية، الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1980
5. الميداني عبد الرحمن حسن، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، دمشق، دار القلم، ط08، 2000، ص120.

6. حافظ الأسود, الأنثروبولوجيا الرمزية، الإسكندرية: منشأة المعارف. 2002
7. عبد العاطي وآخرون، نظرية علم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.2004
8. عيسى الشماس ، مدخل إلى علم الإنسان، دمشق: منشوارت اتحاد الكتاب العرب . 2004
9. أنجرس موريس ، منهجية البحث في العلوم الإ نسانية، تر: بوزيد صح اروي وآخرون، الجزائر دار القصبة للنشر . 2004
10. إدوارد سعيد، الاستش ارق، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة 07.
11. إسماعيل حسن عبد الباري وآخرون، كتابات اجتماعية معاصرة، القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية.
12. المنصوري المبروك، الد ارسات الدينية المعاصرة، من المركزية الغربية إلى النسبية الثقافية، تونس، الدار المتوسطية للنشر، ط01، 2010م.
13. ألفريد بل، بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين د ارسة تاريخية أثرية، تعريب: محمد حمداوي، الج ازئر، موفم للنشر، 2011م.
14. أو ارغي أحمد، "الأنثروبولوجيا والاستعما ر قراءة في صورة الجزئر في المؤلفات الأنثروبولوجية الاستعمارية" ص272-296، جامعة سيدي بلعباس الج ازئر، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 07/ديسمبر 2013م.
15. بد ارن شبل والبيلاوي حسن ، علم الاجتماع التربية المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ،ط02، 2003م.
16. بوطقوقة مبروك، تايلور والمفهوم العالمي للثقافة، في موقع أنترتروبوس: الموقع العربي الأول في الأنثروبولوجيا والسوسيوأنثروبولوجيا، في ال اربط: http://www.aranthropos.com، يوم الزيارة: 15 سبتمبر 2022.
17. جيرار لكلرك، الأنثروبولوجيا والاستعمار، تر: جورج كتورة، بيروت، المؤسسة الجامعية للد ارسات والنشر والتوزيع، ط02، 1990م.
18. حسن محمد خليفة، آثار الفكر الاستش ارقي في المجتمعات الإسلامية، القاهرة، عين للد ارسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط01، 1997.
19. حمداوي محمد)2013(، الق اربة والسلطة عند ابن خلدون، في موقع أنترتروبوس: الموقع العربي الأول في الأنثروبولوجيا والسوسيوأنثروبولوجيا، في ال اربط: http://www.aranthropos.com، يوم الزيارة: 15 سبتمبر 2022.
20. زناتي محمود أنور، جذور الاستشراق ، في موقع الألوكة الثقافية
: يوم الزيارة ، http://www.alukah.net/culture/0 /48017/# ixzz3J Aye CdmR
15 نوفمبر 2022م.
21. فهيم حسين ، قصة الأنثروبولوجيا، الكويت: عالم المعرفة. 1986

22. فوزي عادل، إشكالية الملتقى، في ملتقى: أي مستقبل للأنثروبولوجيا في الج ازئر، وه ارن، منشوارت مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ،1999م.

23. فيليب لوكا وجان كلود فاتان،ج ازئر الأنثروبولوجيين- نقد السوسيولوجيا الكولونيالية، ترجمة: محمد يحاتن وآخرون، منشوارت الذكرى 40 للاستقلال، 2002م.

24. سعيدي محمد، الأنثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق-د ارسة في مظاهر الثقافة الشعبية في الج ازئر، أطروحة دكتواره في الأنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2007م.

25. ليليا بنسالم، "التحليل الانقسامي لمجتمعات المغرب الكبير: حصيلة وتقييم" ص 11-42، في: الأنثربولوجيا والتاريخ حالة المغرب العربي، ترجمة: عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، المغرب، دار توبقال للنشر، ط02، 2007.